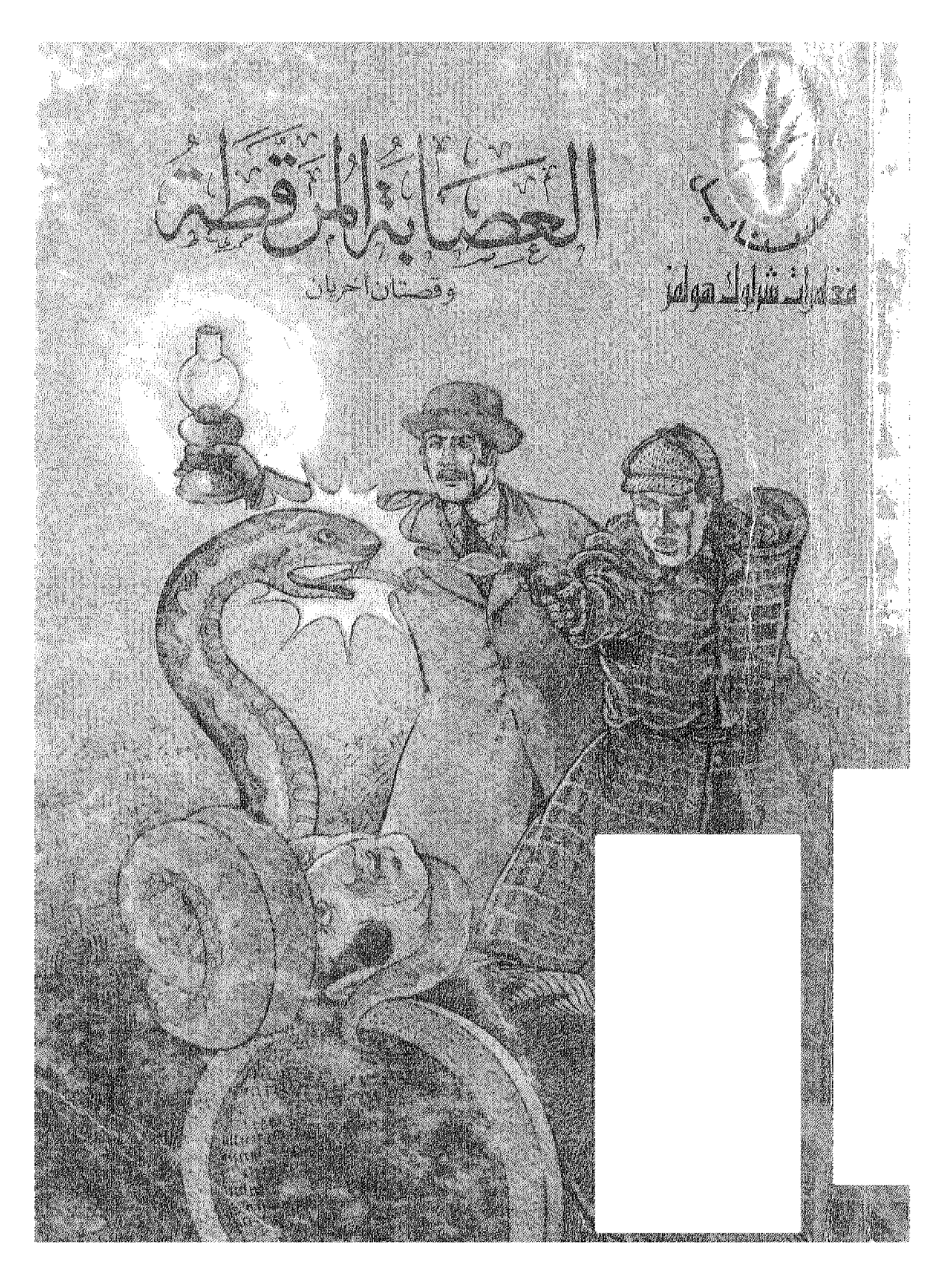
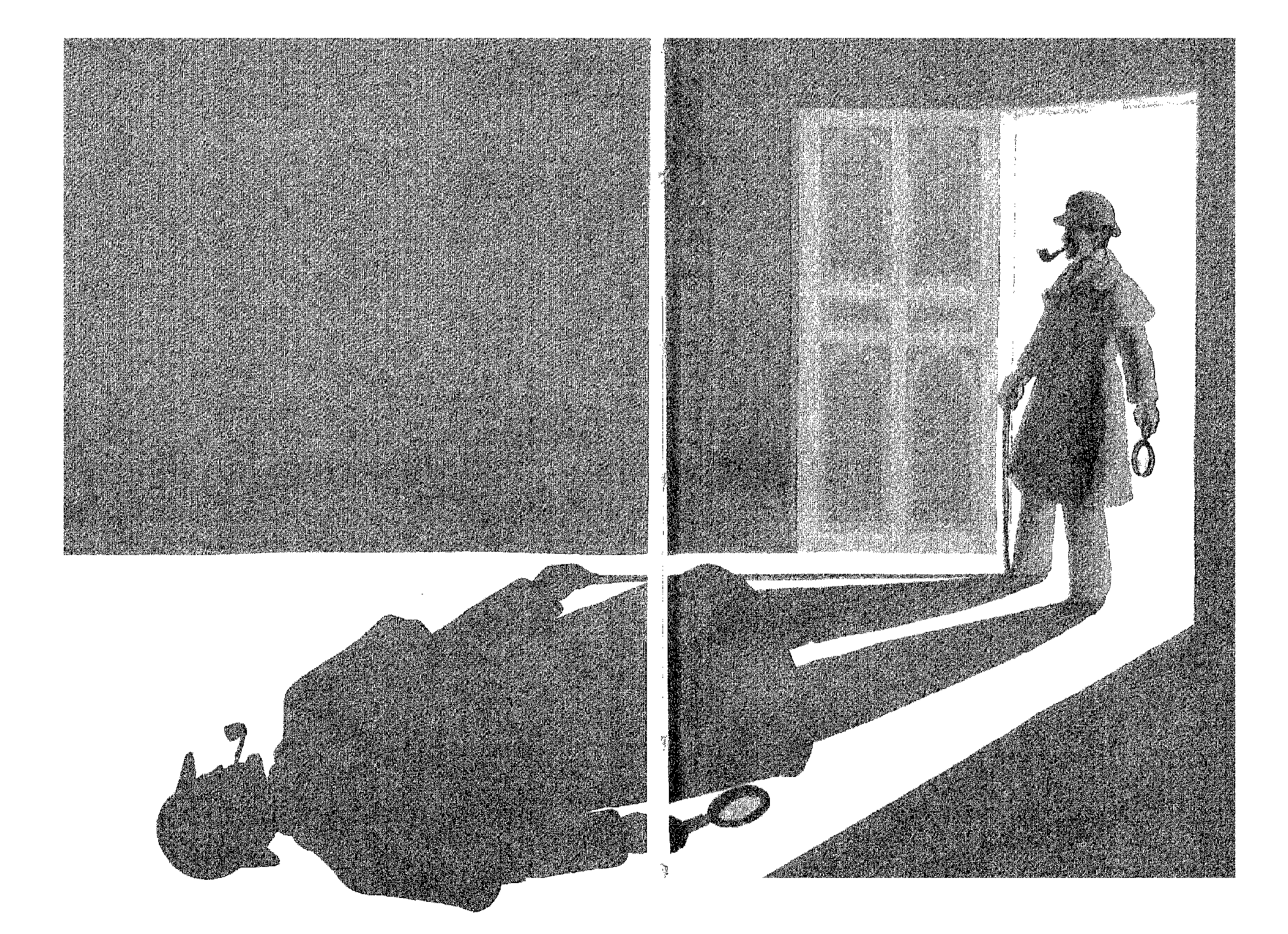

العصابة المرقطة
وقصتان أخريان
مغامرات شرلوك هولمز

العصابة المرقطة

وقصتان أخريان



١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠١ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٥٩-٦

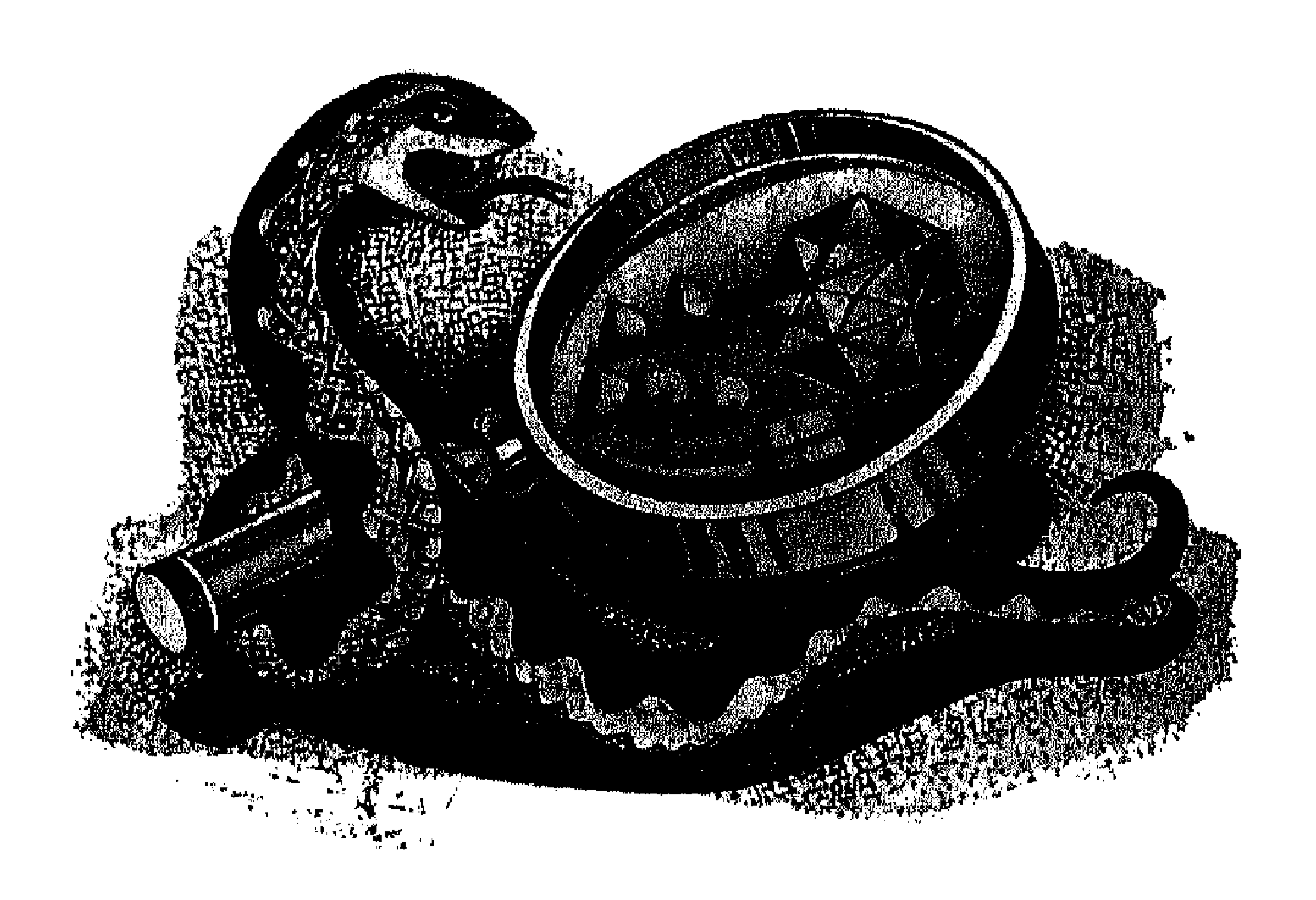
طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

مكتبة لبنان

مغامرات شرلوك هولمز

العِصَابَةُ المُرَقَّطَة

وَقصَّتان أخْرَيان



تأليف : آرثر كونان دويل

إعداد : يعقوب الشاروني

رسوم : عبد الشافي سيد

مكتبة لبنان

بيروت

اَلعِصـــــابَةُ ٱلمُرَقَّطَــةُ

- ١ -

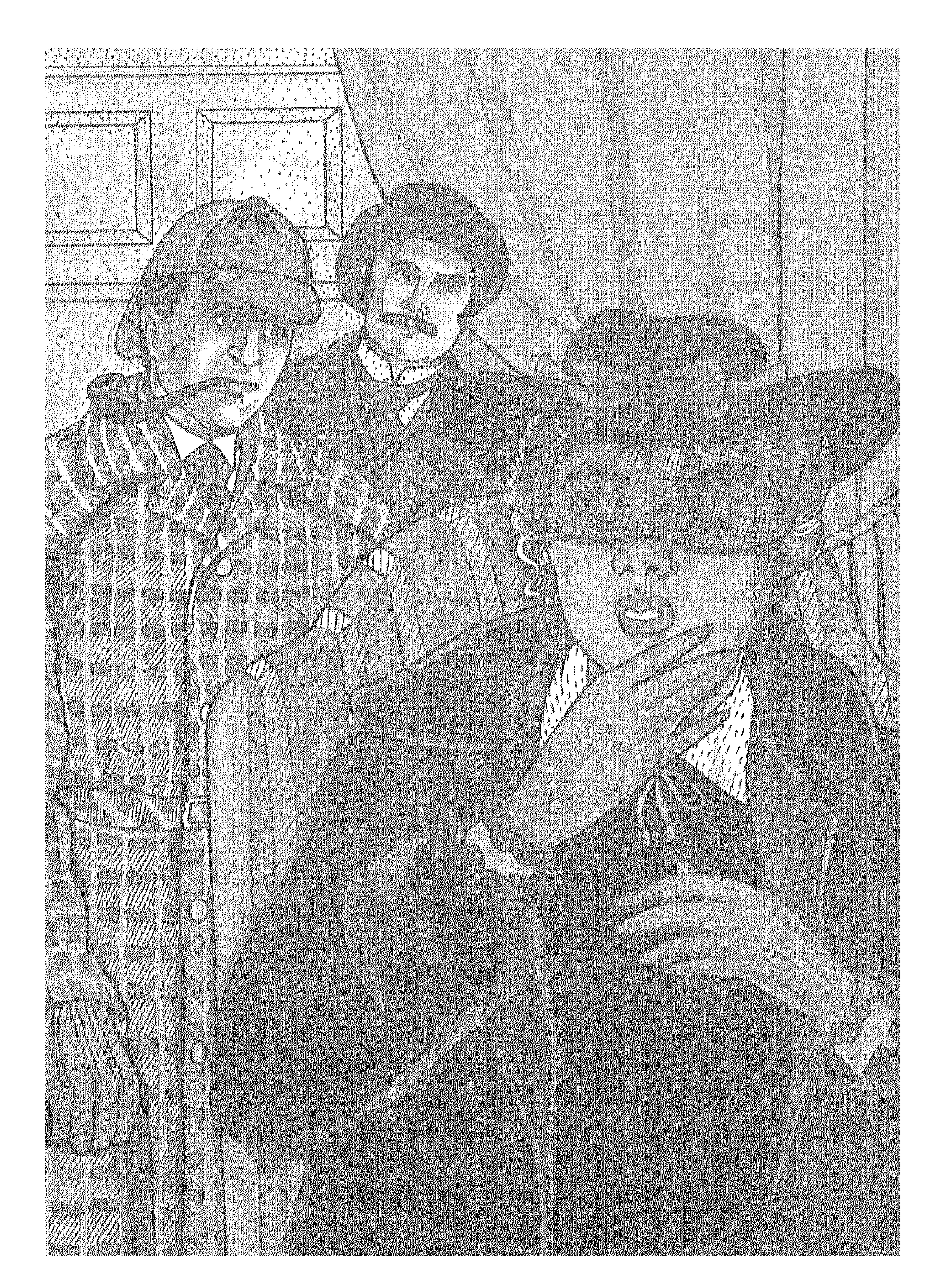
كانَتْ قَضِيَّةُ « ٱلعِصابَةِ ٱلمُرَقَّطَةِ » مِنْ أُوْلَى ٱلقَضايا الَّتي اسْتَطَعْتُ ، أَنا ٱلدُّكْتُور واطْسُن ، أَنْ أُساعِدَ فيها صَديقي شِيرْلُوك هُولمْز .

كانَ ذٰلِكَ مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ ، عِنْدَما كُنْتُ أَنا وَهُولمْز نُقيمُ مَعًا في شَقَّةٍ واحِدةٍ ، وَقَدْ وَعَدْتُ يَوْمَها أَنْ أَحْتَفِظَ بِسرِّ ٱلحِكايَةِ كُلِّها . لٰكِنِ ٱلآنَ ، وَقَدْ تُوُفِّيَتِ ٱلسَّيِّدةُ صاحِبَتُها ، أَرى أَنَّ مِنْ حَقِّ ٱلنّاسِ أَنْ يَعْرِفوا ٱلحقيقةَ . لَقَدْ حاوَلوا اسْتِنْتاجَ سِرِّ وَفاةِ ٱلدُّكْتور غريمْسْبي رُويْلُوت ،وَلٰكِنَّ اسْتِنْتاجاتِهِمْ كانَتْ أَبْعَدَ ما تَكونُ عَنِ ٱلحَقيقَةِ .

فَفي أَوائِلِ شَهْرِ أَبْريل (نَيْسانَ) سَنَةَ ١٨٨٣ ، اسْتَيْقَظْتُ فَجْأَةً ، لِأَجِدَ شِيرْلُوك هُولمْز واقِفًا بِجِوارِ فِراشي . وَلَمْ تَكُنِ ٱلسّاعةُ قَدْ تَجاوَزَتِ ٱلسّابِعةَ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ في دَهْشةٍ ، فَقالَ : « يُؤْسِفُني جِدًّا أَنْ أُوقِظَكَ . »

فَسَأَلْتُهُ : « ماذا حَدَثَ ؟! حَريقٌ ؟! »

أَجابَ : « لَقَدْ جاءَتْني ٱلآنَ سَيِّدةٌ شابَّةٌ تَبْدو عَلَيْها عَلاماتُ ٱلتَّعاسةِ . إِنَّ سَيِّدةً شابَّةً في مِثْلِ سِنِّها تَجْتازُ شَوارِعَ لَنْدَن في هٰذِهِ ٱلسّاعةِ ٱلمُبَكِّرةِ لِتَأْتِيَ إِلى هُنا، يَعْني أَنَّها تُريدُ أَنْ تُحَدِّثَني في أَمْرٍ بالِغِ ٱلأَهَمِّيَّةِ . وَأَظُنُّ أَنَّهُ تَرُوقُكَ مُعاوَنَتِي في قَضِيَّتِها . هَيّا مَعي ٱلآنَ لِنَسْمَعَ ما سَتَقُولُهُ . »



نَهَضْتُ عَلى آلفَوْرِ مِنْ فِراشي قائِلًا : «لَنْ يَفوتَني هٰذا بِآلطَّبْعِ يا زَميلِيَ آلعَزيزَ . »

كانَتْ سَعَادَتي آلكُبْرى أَنْ أُساعِدَ هُولمْز في عَمَلِهِ آلبوليسِيِّ . وَقَدْ تابَعْتُ عَمَلَهُ في أَكْثَرَ مِنْ سَبْعينَ قَضيَّةً خِلالَ آلسَّنَواتِ آلثَّماني آلماضِيةِ . كانَ يَعْمَلُ لِأَنَّهُ يُحِبُّ عَمَلَهُ وَلَيْسَ لِجَمْعِ آلمالِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ إلَّا آلقَضايا الَّتي تُثيرُ اهْتِمامَهُ .

– ٢ –

اِرْتَدَيْتُ مَلابِسي بِسُرْعةٍ ، وَتَبِعْتُ هُولمْز إلى غُرْفةِ آلِاسْتِقْبالِ في آلطَّابَقِ آلأَرْضِيِّ . كانَتْ هُناكَ سَيِّدةٌ تَجْلِسُ بِجِوارِ آلنَّافِذةِ ، مُرْتَديةً مَلابِسَ سَوْداءَ ، وَعَلى وَجْهِها نِقابٌ سَميكٌ . نَهَضَتْ لِلِقائِنا عِنْدَما دَخَلْنا آلغُرْفةَ ، فَقالَ هُولمْز :

«صَباحَ آلخَيْرِ يا سَيِّدَتي . اسْمي شِرْلُوك هُولمْز ، وَهٰذا هُوَ صَديقي آلدُّكْتور واطْسُن . يُمْكِنُكِ أَنْ تَقولي لَنا كُلَّ ما تُريدينَ ، وَثِقي بِأَنَّنا سَنَحْتَفِظُ بِكُلِّ ما تَقولينَهُ سِرًّا . لِماذا تَرْتَعِدينَ ؟ تَفَضَّلي وَاجْلِسي بِجِوارِ آلمِدْفَأَةِ . سَأَطْلُبُ لَكِ قَدَحًا مِنَ آلقَهْوةِ . »

قالَتِ آلمَرْأَةُ بِهُدوءٍ : «لَيْسَ آلبَرْدُ هُوَ آلسَّبَبَ في رِعْدَتي . »

«لِماذا تَرْتَعِدينَ إذًا ؟ »

« إِنَّهُ ٱلخَوْفُ يا مِستر هُولمْز ! إِنَّهُ ٱلرُّعْبُ ! » ثُمَّ رَفَعَتْ نِقابَها فَرَأَيْنا صِدْقَ ما تَقولُ .

كانَ وَجْهُها شاحِبًا ، وَٱلرُّعْبُ مُرْتَسِمًا في عَيْنَيْها . كانَتْ تَبْدو في ٱلثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِها ، لٰكِنَّ شَعْرَها كانَ كُلُّهُ أَشْيَبَ تَقْريبًا .

قالَ هُولمْز بِرِقَّةٍ : « يَجِبُ أَلَّا تَخافي . » ثُمَّ انْحَنَى وَرَبَّتَ عَلى ذِراعِها يُطَمْئِنُها ، وَقالَ : « لَسْتُ أَشُكُّ في أَنَّنا سَنُعيدُ ٱلأُمورَ إِلى نِصابِها بِسُرْعَةٍ ، فَاطْمَئِنِّي . هَلْ وَصَلْتِ إِلى لَنْدَن بِٱلقِطارِ هٰذا ٱلصَّباحَ ؟ »

أَجابَتْ : « نَعَمْ . لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلي قَبْلَ ٱلسَّادِسةِ ، وَوَصَلْتُ بِأَوَّلِ قِطارٍ إِلى مَحَطَّةِ وُوتِرْلو . سَأُصابُ بِٱلجُنونِ إِذا لَمْ تُساعِدْني يا سَيِّدي . لَقَدْ سَبَقَ أَنْ عاوَنْتَ إِحْدى صَديقاتي عِنْدَما كانَتْ في أَشَدِّ ٱلحاجةِ إِلى ٱلعَوْنِ . وَقَدْ أَخَذْتُ عُنْوانَكَ مِنْها . آهٍ يا سَيِّدي ! أَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَسْتَطيعُ مُعاوَنَتي أَنا أَيْضًا ، وَأَنْ تُلْقِيَ بَصيصًا مِنَ ٱلنُّورِ عَلى ٱلظُّلْمةِ الَّتي تُحيطُ بي ؟ لَنْ أَسْتَطيعَ أَنْ أَدْفَعَ لَكَ ٱلكَثيرَ ٱلآنَ ، لٰكِنْ إِذا ٱنْتَظَرْتَ ، فَإِنَّني سَأَتَزَوَّجُ خِلالَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ وَسَأَحْصُلُ عِنْدَئِذٍ عَلى ما يَخُصُّني مِنْ أَمْوالٍ . »

قالَ هُولمْز : « يُسْعِدُني أَنْ أَبْذُلَ كُلَّ ما في وُسْعي لِمُعاوَنَتِكِ يا سَيِّدَتي . وَيُمْكِنُكِ أَنْ تَدْفَعي في ٱلوَقْتِ الَّذي يُناسِبُكِ . وَٱلآنَ ، يَجِبُ أَنْ تُخْبِريني بِكُلِّ ما يُسَبِّبُ لَكِ هٰذا ٱلقَلَقَ ٱلشَّديدَ . »

أَجابَتْ زائِرَتُنا : « لِلأَسَفِ مِنَ ٱلصَّعْبِ أَنْ أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ مُفيدًا لَكَ . كُلُّ ما جَمَعْتُهُ مِنْ حَقائِقَ قَليلٌ جِدًّا وَلا أَهَمِّيَّةَ لَهُ ، وَقَدْ تَظُنُّ أَنَّ ٱلأَمْرَ

كُلَّهُ مُجَرَّدُ أَوْهامِ امْرَأَةٍ . »

قالَ هُولمْز : «أَخْبِريني بِكُلِّ ما تَعْرِفينَ يا سَيِّدَتي ، وَحَدِّثيني أَيْضًا عَنْ أُسْرَتِكِ . »

– ٣ –

«اِسْمي هِيلين سْتُونَر ، وَأَعيشُ مَعَ زَوْجِ أُمِّي ، وَهُوَ آخِرُ أَفْرادِ عائِلَةٍ إِنْجليزيَّةٍ مَشْهورَةٍ جِدًّا : إِنَّها عائِلَةُ رُويْلُوت . »

قالَ هُولمْز : «لَقَدْ سَمِعْتُ بِٱلاسْمِ . »

« كانَتْ هٰذِهِ ٱلعائِلَةُ ذاتَ يَوْمٍ أَغْنى عائِلاتِ إِنْجِلْتِرا ، وَكانَتْ تَمْلِكُ مِساحاتٍ شاسِعَةً مِنَ ٱلأَراضي ، تَمْتَدُّ مِنْ بِرْكشايَر شَمالًا إلى هامْبشايَر غَرْبًا .

«وَخِلالَ ٱلمِئةِ سَنَةٍ ٱلأَخيرَةِ ، بَدَّدَ ٱلأَبْناءُ أَمْلاكَ ٱلعائِلَةِ ، حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ هٰذِهِ ٱلأَمْلاكِ ٱلآنَ إِلّا مِساحاتٌ صَغيرةٌ مِنَ ٱلأَراضي ، وَمَنْزِلٌ عَتيقٌ بُنِيَ مُنْذُ ما يَقْرُبُ مِنْ مِئَتَيْ عامٍ . وَتَراكَمَتْ عَلى ٱلأُسْرَةِ دُيونٌ كَثيرةٌ ، وَدَرَسَ ٱلِابْنُ ٱلأَكْبَرُ ٱلطِّبَّ ، وَسافَرَ إلى ٱلهِنْدِ ، وَهُناكَ حالَفَهُ ٱلتَّوْفيقُ . وَفَجْأَةً أُصيبَ لِسُوءِ ٱلحَظِّ بِكارِثَةٍ فَظيعةٍ : فَقَدِ اقْتَحَمَ لِصٌّ مَنْزِلَهُ ذاتَ لَيْلَةٍ ، وَسَرَقَ كُلَّ مُحْتَوياتِهِ تَقْريبًا . وَفي سَوْرَةِ غَضَبِهِ ، اعْتَبَرَ خادِمَهُ مَسْئُولًا عَنِ ٱلسَّرِقَةِ وَانْهالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا حَتّى ماتَ ٱلمِسْكينُ .

«أُلْقِيَ ٱلدُّكتور رُويْلُوت في ٱلسِّجْنِ بِسَبَبِ هٰذِهِ ٱلجَريمَةِ ٱلفَظيعةِ ، وَقَضى

فيهِ أَعْوامًا طَويلةً ، عادَ بَعْدَها إلى إنْجِلْتِرا مُحَطَّمًا ساخِطًا .

« عِنْدَما كانَ دُكْتور رُويْلُوت في ٱلهِنْدِ ، تَزَوَّجَ أُمِّي بَعْدَ وَفاةِ أَبي ، وَيَوْمَها كُنْتُ أَنا وَأُخْتِيَ ٱلتَّوْأَمُ في ٱلثَّانِيَةِ مِنَ ٱلعُمْرِ ، وَقَدْ تُوُفِّيَتْ أُمِّي مُنْذُ ثَمانِيَةِ أَعْوامٍ ، وَتَرَكَتْ لِزَوْجِها ، ٱلدُّكْتور رُويْلُوت ، كُلَّ ثَرْوَتِها وَأَوْصَتْهُ بِأَنْ يُعْطِيَ كُلًّا مِنَّا ، عِنْدَما نَتَزَوَّجُ ، مَبْلَغًا مُعَيَّنًا مِنَ ٱلمالِ كُلَّ عامٍ .

« كانَتِ ٱلثَّرْوةُ الَّتي تَرَكَتْها أُمِّي تَكْفي لِنَعيشَ أَنا وَأُخْتي حَياةً سَعيدةً ، لٰكِنَّ تَغْييرًا مُخيفًا أَصابَ زَوْجَ أُمِّنا . فَلَمْ يُنْشِئْ أَيَّ صَداقَةٍ مَعَ جيرانِنا ، رَغْمَ أَنَّهُمْ كانوا سُعَداءَ في ٱلبِدايَةِ بِعَوْدَةِ ٱلحَياةِ إلى مَنْزِلِنا .

« أَغْلَقَ عَلى نَفْسِهِ أَبْوابَ ٱلمَنْزِلِ . وَإذا خَرَجَ ، تَعارَكَ مَعَ كُلِّ مَنْ يَراهُ ، فَأَصْبَحَ مَصْدَرًا لِرُعْبِ ٱلقَرْيَةِ ، إلى دَرَجةِ أَنَّ ٱلنَّاسَ كانوا يَحْرِصونَ عَلى ٱلابْتِعادِ عَنْ طَريقِهِ ، وَيَخْشَوْنَ غَضَبَهُ ، فَهُوَ رَجُلٌ قَوِيُّ ٱلجِسْمِ ، وَكانوا يَعْرِفونَ ما فَعَلَهُ بِخادِمِهِ في ٱلهِنْدِ . »

— ٤ —

واصَلَتْ هِيلين سْتُونَر رِوايَةَ قِصَّتِها قائِلةً : « كانَ أَصْدِقاؤُهُ ٱلوَحيدونَ هُمُ ٱلغَجَرَ الَّذينَ يَتَجَوَّلونَ في ٱلرِّيفِ . وَكانَ يَسْمَحُ لِهٰؤُلاءِ ٱلنَّاسِ بِإقامَةِ خِيامِهِمْ في أَرْضِهِ ، وَكانَ يَذْهَبُ أَحْيانًا مَعَهُمْ في رِحْلاتِهِمْ ، وَيَنامُ في خِيامِهِمْ . كَما كانَ يَحْتَفِظُ بِٱلثَّعابِينِ وَغَيْرِها مِنَ ٱلحَيَواناتِ الَّتي أَحْضَرَها مَعَهُ مِنَ ٱلهِنْدِ ،

وَيَتْرُكُها تَمْشي في أَيِّ مَكانٍ في ٱلبَيْتِ أَوِ ٱلحَديقةِ ، فَتُثيرُ رُعْبَ كُلِّ ٱلنَّاسِ .

« وَيُمْكِنُ يا سَيِّدي أَنْ تَتَخَيَّلَ مِنْ كُلِّ ما قُلْتُهُ ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ما يُدْخِلُ ٱلبَهْجةَ عَلى حَياتي وَحَياةِ أُخْتي جُولْيا .

« لَمْ يَقْبَلْ أَيُّ خادِمٍ أَنْ يَبْقى عِنْدَنا طَويلًا ، فَكُنَّا نَقُومُ بِكُلِّ أَعْمالِ ٱلمَنْزِلِ . وَلَمْ يُمْهِلِ ٱلقَدَرُ أُخْتي ، فَفارَقَتِ ٱلحَياةَ وَهِيَ في ٱلثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِها . وَكانَ لَوْنُ شَعْرِها أَبْيَضَ مِثْلَ شَعْري . »

سَأَلَ هُولمْز : « هَلْ ماتَتْ أُخْتُكِ ؟ »

« ماتَتْ مُنْذُ عامَيْنِ ، وَهٰذا هُوَ سَبَبُ حُضوري إِلَيْكَ .

« كُنَّا نُقيمُ عِنْدَ بَعْضِ أَقارِبِنا في لَنْدَن مُنْذُ عامَيْنِ ، وَهُناكَ قابَلَتْ أُخْتي رَجُلًا طَلَبَ أَنْ يَتَزَوَّجَها .

« وَلَمَّا عُدْنا إِلى بَيْتِنا ، بَدا زَوْجُ أُمِّنا سَعيدًا جِدًّا بِهٰذا ٱلزَّواجِ ، لٰكِنَّ شَيْئًا مُخيفًا حَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ ، قَبْلَ ٱلزِّفافِ بِأُسْبوعَيْنِ . »

كانَ هُولمْز مُسْتَلْقِيًا فَوْقَ مَقْعَدِهِ ، وَقَدْ أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُنْصِتُ لِحَديثِ ٱلسَّيِّدةِ . وَعِنْدَما سَمِعَ ما قالَتْهُ ، فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ إِلَيْها قائِلًا : « أَرْجو أَنْ تُخْبِريني بِكُلِّ ما حَدَثَ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ . »

قالَتْ : « يُمْكِنُني أَنْ أُخْبِرَكَ بِهِ بِكُلِّ سُهولةٍ ، لِأَنَّ ما حَدَثَ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ ٱلمُخيفِ حَيٌّ في ذاكِرَتي إِلى ٱلأَبَدِ .

«وَيَجِبُ أَنْ أَصِفَ لَكَ أَوَّلًا شَكْلَ مَنْزِلِنا . إِنَّ كُلَّ حُجُراتِ ٱلنَّوْمِ مَوْجودةٌ في ٱلطَّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ . ٱلغُرْفةُ ٱلأُولَى لِلدُّكْتور رُويْلُوت ، وَٱلثَّانيةُ لِأُخْتي ، وَٱلثَّالِثةُ لي . وَكُلُّ أَبْوابِ حُجُراتِ ٱلنَّوْمِ تُفْتَحُ عَلى مَمَرٍّ واحِدٍ .

«وَتُطِلُّ نَوافِذُ هٰذِهِ ٱلحُجُراتِ ٱلثَّلاثِ عَلى ٱلحَديقَةِ . وَفي لَيْلَةِ وفَاةِ أُخْتي ذَهَبَ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت إلى غُرْفَتِهِ مُبَكِّرًا ، وَذَهَبْنا نَحْنُ أَيْضًا إلى غُرْفَتَيْنا ، لٰكِنَّ أُخْتي لَمْ تَلْبَثْ أَنْ جاءَتْ إلى غُرْفَتي وَقالَتْ لي : إِنَّني لا أَسْتَطيعُ ٱلنَّوْمَ . إِنَّ رُويْلُوت يُدَخِّنُ ، وَرائِحَةُ سَجائِرِهِ تَصِلُ إلى غُرْفَتي . وَجَلَسَتْ مَعي نَتَحَدَّثُ حَتَّى ٱلسَّاعَةِ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ تَقْريبًا .

«وَعِنْدَما نَهَضَتْ جُولْيا لِتُغادِرَ غُرْفَتي ، تَوَقَّفَتْ عِنْدَ بابِ ٱلغُرْفةِ قائِلَةً : أَخْبِريني يا هِيلِين ، هَلْ سَبَقَ أَنْ سَمِعْتِ شَخْصًا يُصَفِّرُ في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ ٱللَّيْلِ ؟

«أَجَبْتُ : كَلَّا .

«فَقالَتْ : لا أَظُنُّ أَنَّكِ أَنْتِ الَّتي تُصَفِّرينَ أَثْناءَ نَوْمِكِ ؟

« لا بِٱلتَّأْكيدِ ! لٰكِنْ لِماذا تَسْأَلينَ ؟

«قالَتْ : إِنَّني مُنْذُ عِدَّةِ لَيالٍ ، وَفي حَوالَى ٱلثَّالِثةِ صَباحًا ، أَسْمَعُ صَفيرًا خافِتًا واضِحًا يُوقِظُني دائِمًا . وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أُحَدِّدَ مَصْدَرَهُ ، رُبَّما كانَ يَأْتي مِنْ غُرْفَةِ رُويْلُوت ، وَرُبَّما مِنَ ٱلحَديقَةِ .



«قُلْتُ لَها : قَدْ يَكونُ مَصْدَرُهُ هٰؤُلاءِ ٱلغَجَرَ الَّذينَ يَسْمَحُ لَهُمُ ٱلطَّبيبُ بِٱلبَقاءِ في ٱلحَديقَةِ .

« مُحْتَمَلٌ جِدًّا . لٰكِنْ يُدْهِشُني أَنَّكِ لا تَسْمَعينَ هٰذا ٱلصَّفيرَ أَيْضًا .

«أَعْتَقِدُ أَنَّ نَوْمي أَعْمَقُ مِنْ نَوْمِكِ .

«قالَتْ : لا تَهْتَمِّي بِٱلأَمْرِ ! ثُمَّ ابْتَسَمَتْ لي وَغادَرَتِ ٱلغُرْفَةَ ، وَبَعْدَ دَقائِقَ سَمِعْتُها تُغْلِقُ بابَ غُرْفَتِها بِٱلمِفْتاحِ . »

سَأَلَ هُولمْز ٱلسَّيِّدَةَ : « هَلْ كانَ مِنْ عادَتِكُما أَنْ تُغْلِقا دائِمًا غُرْفَتَيْكُما لَيْلًا بِٱلمِفْتاحِ ؟ »

« دائِمًا . »

« لِماذا ؟ »

« أَظُنُّ أَنَّني أَخْبَرْتُكَ أَنَّ ٱلطَّبيبَ يَحْتَفِظُ بِحَيَواناتٍ مُفْتَرِسةٍ تَتَمَشَّى طَوالَ ٱللَّيْلِ في أَنْحاءِ ٱلبَيْتِ . وَلَمْ نَكُنْ نَشْعُرُ بِٱلِاطْمِئْنانِ إِلَّا إِذا أَغْلَقْنا بابَيْنا بِٱلمِفْتاحِ . »

« فَهِمْتُ . أَرْجو أَنْ تُكْمِلي . »

- ٥ -

اِسْتَمَرَّتْ هيلين تَرْوي قِصَّتَها فَقالَتْ : « لَمْ أَسْتَطِعِ ٱلنَّوْمَ في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ . كانَتْ هُناكَ عاصِفةٌ ؛ ٱلرِّيحُ تَزْأَرُ في ٱلخارِجِ ، وَ ٱلأَمْطارُ تَقْرَعُ ٱلنَّوافِذَ .

« فَجْأَةً سَمِعْتُ صَرْخةً مُرَوِّعَةً ، أَطْلَقَتْها امْرَأَةٌ أَصابَها رُعْبٌ . وَ أَدْرَكْتُ أَنَّها أُخْتي ، فَقَفَزْتُ مِنْ فِراشي . وَ بَيْنَما كُنْتُ أَفْتَحُ بابَ غُرْفَتي لِأَخْرُجَ إِلى ٱلمَمَرِّ ، خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّني سَمِعْتُ صَفيرًا خافِتًا ، يُشْبِهُ ما وَصَفَتْهُ أُخْتي . وَ بَعْدَ لَحْظَةٍ سَمِعْتُ صَوْتَ سُقوطِ شَيْءٍ مَعْدِنِيٍّ .

« وَ عِنْدَما انْدَفَعْتُ أَجْري في ٱلمَمَرِّ ، فُتِحَ بابُ غُرْفَةِ أُخْتي ، وَ رَأَيْتُها شاحِبَةَ ٱلوَجْهِ مِنَ ٱلرُّعْبِ . وَ كانَتْ تَمُدُّ يَدَيْها تَطْلُبُ ٱلعَوْنَ ، وَ كانَ جِسْمُها يَتَمايَلُ يَمْنةً وَ يَسْرةً .

« جَرَيْتُ نَحْوَها ، وَ ما إِنْ طَوَّقْتُها بِذِراعَيَّ ، حَتَّى تَخاذَلَتْ رُكْبَتاها وَ سَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ . وَ كانَ يَبْدو أَنَّها تُعاني مِنْ أَلَمٍ فَظيعٍ .

« هَمَسَتْ أُخْتي قائِلةً : ، آهٍ .. هيلين .. يا إِلٰهي .. إِنَّها ٱلعِصابَةُ !

ٱلعِصابةُ ٱلمُرَقَّطَةُ ! ، ثُمَّ أَشارَتْ ناحِيةَ غُرْفَةِ ٱلطَّبيبِ ، لٰكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْطِقَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذا .

« عِنْدَئِذٍ ظَهَرَ ٱلطَّبيبُ خارِجًا مِنْ غُرْفَتِهِ ، وَ حاوَلَ مَعي إِنْقاذَ حَياةِ أُخْتي ، وَ لٰكِنَّ ٱلقَدَرَ لَمْ يُمْهِلْها ، وَ أَسْلَمَتِ ٱلرُّوحَ في ٱلحالِ . »

قالَ هُولمْز مُتَسائِلًا : « هَلْ أَنْتِ واثِقةٌ أَنَّكِ سَمِعْتِ ذٰلِكَ ٱلصَّفيرَ ، وَ صَوْتَ سُقوطِ جِسْمٍ مَعْدِنيٍّ ؟ هَلْ أَنْتِ مُتَأَكِّدةٌ مِنْ هٰذا تَمامًا ؟ »

« أَظُنُّ أَنَّني سَمِعْتُهُ .. رُبَّما يَكونُ صَوْتُ ٱلعاصِفةِ هُوَ الَّذي جَعَلَني أَتَخَيَّلُ تِلْكَ ٱلأَصْواتَ . »

« هَلْ كانَتْ أُخْتُكِ تَرْتَدي كامِلَ مَلابِسِها ؟ »

« كَلَّا ، كانَتْ تَرْتَدي ثِيابَ ٱلنَّوْمِ . وَ كانَ في يَدِها ٱليُمْنَى عُودُ ثِقابٍ مُحْتَرِقٌ ، وَ في يَدِها ٱليُسْرَى عُلْبَةُ ٱلثِّقابِ . »

قالَ هُولمْز : « هٰذا يَدُلُّ عَلى أَنَّها كانَتْ في فِراشِها ، وَ أَنَّها أَشْعَلَتْ عُودَ ٱلثِّقابِ بِمُجَرَّدِ أَنْ شَعَرَتْ بِٱلخَطَرِ لِتَرى ما حَوْلَها ... هٰذا شَيْءٌ هامٌّ . »

قالَتِ ٱلسَّيِّدةُ : « حَقَّقَ رِجالُ ٱلشُّرْطةِ ٱلقَضيَّةَ بِعِنايةٍ شَديدةٍ ، وَ كانَ مُعْظَمُ ٱلنَّاسِ لا يُحِبُّونَ ٱلدُّكْتورَ رُويْلُوت بِسَبَبِ ماضيهِ ، لٰكِنْ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ سَبَبَ ٱلوَفاةِ . لَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعةِ أَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ غُرْفَتَها ، لِذٰلِكَ أَصْبَحَ مِنَ ٱلمُؤَكَّدِ أَنَّ أُخْتي كانَتْ وَحْدَها في ٱلغُرْفَةِ . »

« أَ لَمْ يَكُنْ هُناكَ سُمٌّ ؟ »

« لَقَدْ فَحَصوا جُثَّتَها ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا أَثَرًا لِسُمٍّ . »

سَأَلَها هُولمْز : « إِذًا ما هُوَ في اعْتِقادِكِ سَبَبُ مَوْتِ أُخْتِكِ ؟ »

« أَعْتَقِدُ أَنَّها ماتَتْ نَتيجةَ إصابَتِها بِرُعْبٍ شَديدٍ ، رَغْمَ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُحَدِّدَ سَبَبًا لِرُعْبِها . »

« هَلْ كانَ هُناكَ غَجَرٌ يُقيمونَ في أَرْضِكُمْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ ؟ »

« نَعَمْ ، فَٱلبَعْضُ مِنْهُمْ يُقيمُ فيها دائِمًا . »

« بِرَأْيِكِ ، ماذا كانَتْ أُخْتُكِ تَقْصِدُ بِالْعِصابَةِ .. العِصابَةِ ٱلْمُرَقَّطَةِ ؟ »

« لَعَلَّها كانَتْ تَقْصِدُ عِصابةً مِنَ ٱلنَّاسِ . أَوْ لَعَلَّها كانَتْ تَقْصِدُ ٱلغَجَرَ ، فَإِنَّ عَدَدًا كَبيرًا مِنْهُمْ يَرْبِطونَ حَوْلَ رُؤوسِهِمْ مَناديلَ مُنَقَّطَةً . »

وَ هَزَّ هُولمْز رَأْسَهُ ، وَ ظَهَرَ أَنَّهُ يَشُكُّ كَثيرًا في ذٰلِكَ ٱلتَّفْسيرِ . قالَ : « لَسْتُ أَدْري ، إِنَّ ٱلأَمْرَ مُحَيِّرٌ جِدًّا . لٰكِنْ أَرْجو أَنْ تَسْتَمِرِّي في قِصَّتِكِ . »

« مَضَتْ سَنَتانِ بَعْدَ هٰذِهِ ٱلأَحْداثِ ، أَحْسَسْتُ فيهِما بِوَحْدةٍ قاسِيَةٍ . وَ في ٱلشَّهْرِ ٱلماضي ، تَقَدَّمَ صَديقٌ عَزيزٌ ، أَعْرِفُهُ مُنْذُ سَنواتٍ ، يَطْلُبُ ٱلزَّواجَ بي ، اسْمُهُ بيرسي أَرْميتاج . وَ قَدْ وافَقَ زَوْجُ أُمِّي ، وَ سَنَتَزَوَّجُ في ٱلرَّبيعِ ٱلقادِمِ .

« مُنْذُ يَوْمَيْنِ ، طَلَبَ مِنِّي زَوْجُ أُمِّي أَنْ أَنْتَقِلَ إلى غُرْفَةِ أُخْتي ، إلى أَنْ تَتِمَّ

بَعْضُ ٱلإِصْلاحاتِ في غُرْفَتي ، وَ هٰكَذا اضْطُرِرْتُ إِلى أَنْ أَنامَ في فِراشِ أُخْتي .

« وَلَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ مَدى ما أَصابَني مِنْ رُعْبِ ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ ، عِنْدَما سَمِعْتُ فَجْأَةً ، وَ أَنا أَرْقُدُ مُسْتَيْقِظَةً ، الصَّفيرَ ٱلخافِتَ ٱلَّذي سَمِعَتْهُ أُخْتي لَيْلَةَ وَفاتِها . لَقَدْ قَفَزْتُ واقِفَةً ، وَ أَضَأْتُ ٱلمِصْباحَ لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَرى شَيْئًا . لَقَدْ مَلأَني ٱلرُّعْبُ حَتَّى لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَعودَ ثانِيَةً إِلى ٱلنَّوْمِ ، فَارْتَدَيْتُ مَلابِسي في ٱلحالِ ، وَ بَقِيتُ خائِفَةً قَلِقَةً . وَما إِنْ ظَهَرَتْ تَباشيرُ ضَوْءِ ٱلنَّهارِ ، حَتَّى أَسْرَعْتُ أَجْري إِلى فُنْدُقِ ٱلتَّاجِ ، ٱلَّذي يَقَعُ قَريبًا مِنَّا . وَ مِنْ هُناكَ اسْتَأْجَرْتُ عَرَبَةً أَوْصَلَتْني إِلى مَحَطَّةِ ٱلسِّكَّةِ ٱلحَديدِيَّةِ ، وَ جِئْتُ إِلَيْكَ أَطْلُبُ ٱلنُّصْحَ وَ ٱلمَعونَةَ . »

— ٦ —

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ تَصَرَّفْتِ بِحِكْمَةٍ . لٰكِنْ ، هَلْ ما سَمِعْتُهُ مِنْكِ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ؟ »

« نَعَمْ .. كُلُّ شَيْءٍ . »

« لا ، يا آنِسَةُ سْتُونَر .. إِنَّكِ تُحاوِلينَ حِمايَةَ زَوْجِ أُمِّكِ لِسَبَبٍ لا أَعْرِفُهُ . »

« ماذا تَقْصِدُ ؟ »

لَمْ يُجِبْ هُولمْز ، وَلٰكِنَّهُ أَمْسَكَ يَدَ هِيلين سْتُونَر ، وَ رَفَعَها . كانَتْ عَلى ذِراعِها آثارٌ حَمْراءُ لِأَرْبَعَةِ أَصابِعَ .

قالَ هُولمْز : «إنَّهُ يَقْسو عَلَيْكِ .»

ظَهَرَتِ ٱلتَّعاسةُ عَلى وَجْهِ ٱلفَتاةِ ، وَ غَطَّتْ ذِراعَها قائِلَةً : «إنَّهُ رَجُلٌ قاسٍ ، ولا يُحِسُّ بِمَدى قُوَّتِهِ .»

خَيَّمَ صَمْتٌ طَويلٌ ، وَهُولمْز يَتَطَلَّعُ إلى نارِ ٱلمِدْفَأَةِ ، ثُمَّ قالَ أخيرًا : «هٰذا مَوْضوعٌ مُعَقَّدٌ وَ غامِضٌ ، يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ أَشْياءَ أُخرى كَثيرةً ، قَبْلَ أَنْ أَقومَ بِأَيِّ عَمَلٍ . وَ مَعَ ذٰلِكَ ، عَلَيْنا أَلّا نُضَيِّعَ ٱلوَقْتَ . هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَذْهَبَ ٱليَوْمَ إلى بَيْتِكِ ، وَ نُلْقيَ نَظْرةً عَلى غُرْفةِ ٱلنَّوْمِ ٱلَّتي تَحَدَّثْتِ عَنْها ، دونَ أَنْ يَعْرِفَ ٱلطَّبيبُ بِذٰلِكَ ؟»

«نَعَمْ ، لِأَنَّهُ سَيَأْتي ٱليَوْمَ إلى لَنْدَن ، وَسَيَقْضي ٱلنَّهارَ كُلَّهُ بَعيدًا عَنِ ٱلبَيْتِ ، وَلَنْ يَعوقَكَ شَيْءٌ .»

«رائِعٌ !» ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إلَيَّ وَ سَأَلَني : «هَلْ سَتَأْتي مَعي يا واطْسُن ؟»

«يُسْعِدُني جِدًّا أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ .»

قالَ هُولمْز : «ماذا تَنْوينَ أَنْ تَفْعَلي يا آنِسةُ سْتُونَر ؟»

«سَأَعودُ ٱلآنَ إلى ٱلبَيْتِ ، وَ أُقابِلُكُما هُناكَ .»

ثُمَّ نَهَضَتْ قائِلَةً : «إنَّني ٱلآنَ أَشْعُرُ بِٱلرَّاحةِ ، بَعْدَ ٱلحَديثِ مَعَكُما .» وَ أَسْدَلَتْ نِقابَها ٱلأَسْوَدَ ٱلسَّميكَ فَوْقَ وَجْهِها ، وَ غادَرَتِ ٱلغُرْفَةَ .

سَأَلَني شيرْلُوك هُولمْز : « ما رَأْيُكَ في هٰـذِهِ ٱلمَسْأَلةِ يا واطْسُن ؟ »
أَجَبْتُ : « إنَّها تَبْدو لي قَضِيَّةً مِنْ نَوْعٍ جَديدٍ شَديدِ ٱلتَّعْقيدِ . فَأَمامَنا وَصِيَّةُ ٱلأُمِّ الَّتي تَنُصُّ عَلى أَنَّهُ عِنْدَ زَواجِ ٱلبِنْتَيْنِ ، يَتَعَيَّنُ عَلى ٱلدُّكْتور رُويْلُوت أَنْ يُعْطِيَ كُلًّا مِنْهُما مَبْلَغًا مِنَ ٱلمالِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ في هٰـذا ما يَكْفي لِارْتِكابِ جَريمَةِ قَتْلٍ . »

« لٰـكِنْ كَيْفَ ؟ هَلِ اسْتَعانَ في ذٰلِكَ بِٱلغَجَرِ ؟ »

« ما الَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ٱلغَجَرُ ؟ »

« لَسْتُ أَدْري ، وَهٰـذا هُوَ ٱلسَّبَبُ الَّذي يَدْفَعُني إلى ٱلذَّهابِ ٱليَوْمَ إلى بَيْتِها .. لٰـكِنْ ... ما هٰـذا ؟ » وَقَطَعَ هُولمْز حَديثَهُ فَجْأَةً ، عِنْدَما شاهَدَ بابَ ٱلغُرْفَةِ يُفْتَحُ بِعُنْفٍ ، وَيَدْخُلُ رَجُلٌ ضَخْمُ ٱلجِسْمِ .

سَأَلَ ٱلرَّجُلُ ٱلضَّخْمُ : « مَنْ فيكُما هُولمْز ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « هٰـذا هُوَ اسْمي يا سَيِّدي ، فَهَلْ تَتَكَرَّمُ وَتُخْبِرُني مَنْ أَنْتَ ؟ »

« أَنا ٱلدُّكْتور رُويْلُوت . »

قالَ هُولمْز في هُدوءٍ : « أَهْلًا يا دُكْتور .. تَفَضَّلْ بِٱلجُلوسِ . »

« لا .. لَنْ أَجْلِسَ .. لَقَدْ كانَتِ ابْنَتي هُنا ... ماذا كانَتْ تَقولُ لَكُما ؟ »

قالَ هُولمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلجَوَّ ٱليَوْمَ بارِدٌ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ يا سَيِّدي . »

صاحَ ٱلطَّبيبُ : « ماذا كانَتْ تَقولُ لَكَ ؟ »

وَاصَلَ هُولمْز حَديثَهُ قائِلًا : « لٰكِنَّ ٱلأَزْهارَ قَدْ بَدَأَتْ تَنْمو . »

« اِسْمَعْ ! أَنا أَعْرِفُكَ يا صانِعَ ٱلمَتاعِبِ . لَقَدْ سَبَقَ أَنْ سَمِعْتُ عَنْكَ . إِنَّكَ هُولمْز ٱلرَّجُلُ الَّذي يَتَظاهَرُ بِأَنَّهُ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ ، وَ يَنْطَلِقُ هُنا وَهُناكَ لِيُثيرَ ٱلمَتاعِبَ لِلنَّاسِ . »

ضَحِكَ هُولمْز بِهُدوءٍ وَلَمْ يَزِدْ عَنْ قَوْلِهِ : « عِنْدَما تَخْرُجُ ، أَرْجو أَنْ تُغْلِقَ ٱلبابَ وَراءَكَ ، لِأَنَّ ٱلبُرودَةَ بَدَأَتْ تَشيعُ في ٱلغُرْفَةِ . »

« مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ تَتْرُكَني وَشَأْني . إِنَّني رَجُلٌ خَطِرٌ . أَنا أَعْرِفُ أَنَّ ٱلآنِسةَ سْتُونَر كانَتْ هُنا . » ثُمَّ اسْتَدارَ ٱلرَّجُلُ ، وَ غادَرَ ٱلغُرْفَةَ بِسُرْعةٍ .

قُلْتُ : « أَرْجو أَلَّا يَعْتَدِيَ عَلى ٱلآنِسةِ سْتُونَر . »

قالَ هُولمْز : « لَيْسَ هُناكَ وَقْتٌ نُضَيِّعُهُ ، لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ إِلى بَيْتِها ، يَجِبُ أَنْ أُحاوِلَ مَعْرِفةَ ٱلمَزيدِ عَنْ هٰذا ٱلرَّجُلِ . سَأَذْهَبُ إِلى إِدارةِ ٱلسِّجِلّاتِ ، وَ أُحاوِلُ ٱلحُصولَ عَلى شَيْءٍ يُعاوِنُني في هٰذا ٱلمَوْضوعِ . »

– ٨ –

كانَتِ ٱلسَّاعةُ قَدْ قارَبَتِ ٱلواحِدةَ بَعْدَ ٱلظُّهْرِ ، عِنْدَما عادَ شِرْلُوك هُولمْز



يُمْسِكُ في يَدِهِ بِوَرَقَةٍ مَليئَةٍ بِٱلمُلاحَظاتِ وَ ٱلأَرْقامِ . قالَ : « لَقَدِ اطَّلَعْتُ عَلى وَصِيَّةِ زَوْجَةِ ٱلطَّبيبِ ، الَّتي تُوُفِّيَتْ مُنْذُ ثَماني سَنَواتٍ . مِنَ ٱلمُؤَكَّدِ أَنَّهُ إذا تَزَوَّجَتِ ٱلفَتاتانِ ، فَفي إمْكانِهِما أَنْ تُطالِبا تَقْريبًا بِكُلِّ ثَرْوَةِ ٱلطَّبيبِ . وَلَنْ يَتَبَقّى لَهُ مِنَ ٱلثَّرْوَةِ إلّا ٱلقَليلُ جِدًّا لِيَعيشَ بِهِ . »

قُلْتُ : « إذًا لَمْ يَذْهَبْ جَهْدُكَ هٰذا ٱلصَّباحَ بِغَيْرِ فائِدَةٍ . لَقَدْ وَجَدْتَ ٱلدَّليلَ الَّذي يُؤَكِّدُ أَنَّ لَدى ٱلطَّبيبِ كُلَّ ٱلأَسْبابِ الَّتي تَدْفَعُهُ إلى مَنْعِ زَواجِ ٱلفَتاتَيْنِ مَنْعًا باتًّا . »

قالَ هُولمْز : «هٰـذا صَحيحٌ .. وَ يَعْلَمُ ٱلطَّبيبُ ٱلآنَ أَنَّنا مُهْتَمّانِ بِأَمْرِهِ ، لِـذٰلِكَ أَرى أَنْ نَذْهَبَ في ٱلحالِ إلى ٱلبَيْتِ . هَيّا يا واطْسُن ... إِحْمِـلْ مُسَدَّسَكَ ، وَ لا تَنْسَ فُرْشَةَ أَسْنانِكَ أَيْضًا ، فَقَدْ نَقْضي ٱللَّيْلَةَ هُناكَ . »

كانَ يَوْمًا مُناسِبًا جِدًّا لِلرِّحْلَةِ ، فَٱلشَّمْسُ ساطِعَةٌ ، وَ لا تُوجَدُ في ٱلسَّماءِ إلّا نُتَفٌ مِنَ ٱلغُيـومِ ، وَقَـدْ بَدَأَتِ ٱلأَوْراقُ ٱلخَضْراءُ ٱلجَديـدَةُ تَظْهَـرُ فَوْقَ ٱلأَشْجارِ ، وَ ٱلجَوُّ مُشْبَعٌ بِرائِحَةِ ٱلأَرْضِ ٱلنَّدِيَّةِ ؛ كانَ مِنَ ٱلصَّعْبِ أَنْ يُصَدِّقَ مَنْ يَرانا أَنَّنا ذاهِبانِ لِمِثْلِ هٰـذِهِ ٱلمُهِمَّةِ ٱلصَّعْبَةِ .

عِنْدَما وَصَلْنا ، وَجَدْنا ٱلآنِسَةَ سْتُونَر في ٱنْتِظارِنا . وَما إنْ رَأَتْنا حَتّى قالَتْ : « كُنْتُ أَنْتَظِرُكُما بِفارِغِ ٱلصَّبْرِ . » ثُمَّ صافَحَتْنا بِحَرارَةٍ قائِلَةً : «مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ أَنَّ ٱلدُّكْتُور رُويْلُوت قَدْ ذَهَبَ إلى لَنْدَنْ ، وَلَنْ يَعودَ إلّا في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ ٱلمَساءِ . »

قالَ هُولمْز : «لَقَدْ جاءَنا ٱلدُّكْتور رُويْلُوت بَعْدَ خُروجِكِ مِنْ عِنْدِنـا ، وَ يُؤْسِفُني أَنَّهُ تَبِعَكِ إلى مَنْزِلي . لَقَدْ كانَ فَظًّا شَديدَ ٱلغَضَبِ عِنْدَما تَجاهَلْتُ إِخْبارَهُ عَنْ سَبَبِ حُضورِكِ لِمُقابَلَتي . »

عِنْدَما سَمِعَتِ ٱلآنِسَةُ سْتُونَر هٰـذا ، ازْدادَ وَجْهُها شُحُوبًا ، وَ صاحَتْ : «آهٍ يا رَبِّي ! هَلْ تَبِعَني ؟ »

« نَعَـــمْ . »

« لَسْتُ أَدْري مَتى يُمْكِنُ أَنْ أَكونَ في مَأْمَنٍ مِنْهُ . ماذا سَيَقولُ عِنْدَما يَعودُ إلى ٱلمَنْزِلِ ؟ »

« يَجِبُ أَنْ تَحْرِصي عَلى ٱلِابْتِعادِ عَنْهُ تَمامًا هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ . وَقَدْ يَكونُ مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ آخُذَكِ لِتَبْقَيْ مَعَ أَقارِبِكِ ٱلَّذينَ في لَنْدن . لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ ، أَرْجو أَنْ أَرى ٱلغُرَفَ ٱلثَّلاثَ ٱلَّتي يَجِبُ أَنْ نَفْحَصَها . »

— ٩ —

فَحَصَ هُولمْز حُجُراتِ ٱلنَّوْمِ ٱلثَّلاثَ .

قالَ : « هٰذِهِ غُرْفَتُكِ ياآنِسةُ ستُونَر ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ لٰكِنِّي لا أَرى فِيها ما يَسْتَوْجِبُ ٱلإِصْلاحَ . »

« أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلدُّكْتُور كانَ يَتَعَلَّلُ بِإِصْلاحِها حَتَّى يَنْقُلَني مِنْها إِلى غُرْفَةِ أُخْتي . »

قالَ هُولمْز : « هٰذا مُمْكِنٌ جِدًّا . » ثُمَّ نَظَرَ إِلى ٱلأَبْوابِ بِدِقَّةٍ وَ قالَ : « لا يُمْكِنُ لِمَخْلوقٍ أَنْ يَدْخُلَ غُرْفَتَيْكُما لَيْلًا مِنَ ٱلمَمَرِّ ما دُمْتُما تُغْلِقانِ ٱلبابَ بِٱلمِفْتاحِ . »

أَغْلَقْنا ٱلنَّوافِذَ ، وَخَرَجْنا إِلى ٱلحَديقةِ ، وَ حاوَلَ هُولمْز أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَيَّةِ نافِذةٍ بِٱلقُوَّةِ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَقالَ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ تَوْجيهُ أَيِّ لَوْمٍ إِلى ٱلغَجَرِ . لا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ هٰذِهِ ٱلنَّوافِذِ وَهِيَ مُغْلَقَةٌ . يَجِبُ أَنْ نَبْحَثَ عَنِ ٱلجاني داخِلَ ٱلمَنْزِلِ . »

عُدْنا ثانيةً إِلى غُرْفةِ ٱلنَّوْمِ ، حَيْثُ تُوُفِّيَتْ جُولْيا ٱلمِسْكينةُ . كانَ بِٱلغُرْفةِ

مِنْضَدَةٌ صَغيرةٌ وَ مَقْعَدانِ ، وَ سَريرٌ يَشْغَلُ مُعْظَمَ ٱلغُرْفةِ ٱلصَّغيرةِ . وَ وَضَعَ هُولمْز أَحَدَ ٱلمَقْعَدَيْنِ في رُكْنٍ مِنَ ٱلغُرْفةِ وَ جلَسَ فَوْقَهُ ، وَ أَخَذَ يَتَفَحَّصُ ٱلمَكانَ بِنَظَرِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخرى . لَمْ يَتْرُكْ جُزْءًا مِنَ ٱلغُرْفةِ إِلّا تَأَمَّلَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، ثُمَّ سَأَلَ : « عِنْدَما يَدُقُّ ذٰلِكَ ٱلجَرَسُ ، مَنِ ٱلَّذي يَسْتَجيبُ لِدَقّاتِهِ ؟ » وَ أَشارَ إلى حَبْلِ ٱلجَرَسِ ٱلسَّميكِ ٱلَّذي يَتَدَلّى بِجانِبِ ٱلفِراشِ ، وَ كانَ طَرَفُهُ يَسْتَقِرُّ فَوْقَ ٱلسَّريرِ .

أجابَتْ : « إِنَّهُ يَدُقُّ في غُرْفَةِ ٱلخَدَمِ . »

« إِنَّهُ لا يَبْدو قَديمًا مِثْلَ بَقِيَّةِ ٱلأَشْياءِ ٱلَّتي في ٱلغُرْفَةِ .. »

« هٰـذا صَحيحٌ ... لَقَدْ وُضِعَ هُنا مُنْذُ عامَيْنِ فَقَطْ . »

« هَلْ طَلَبَتْ أُخْتُكِ وَضْعَهُ ؟ »

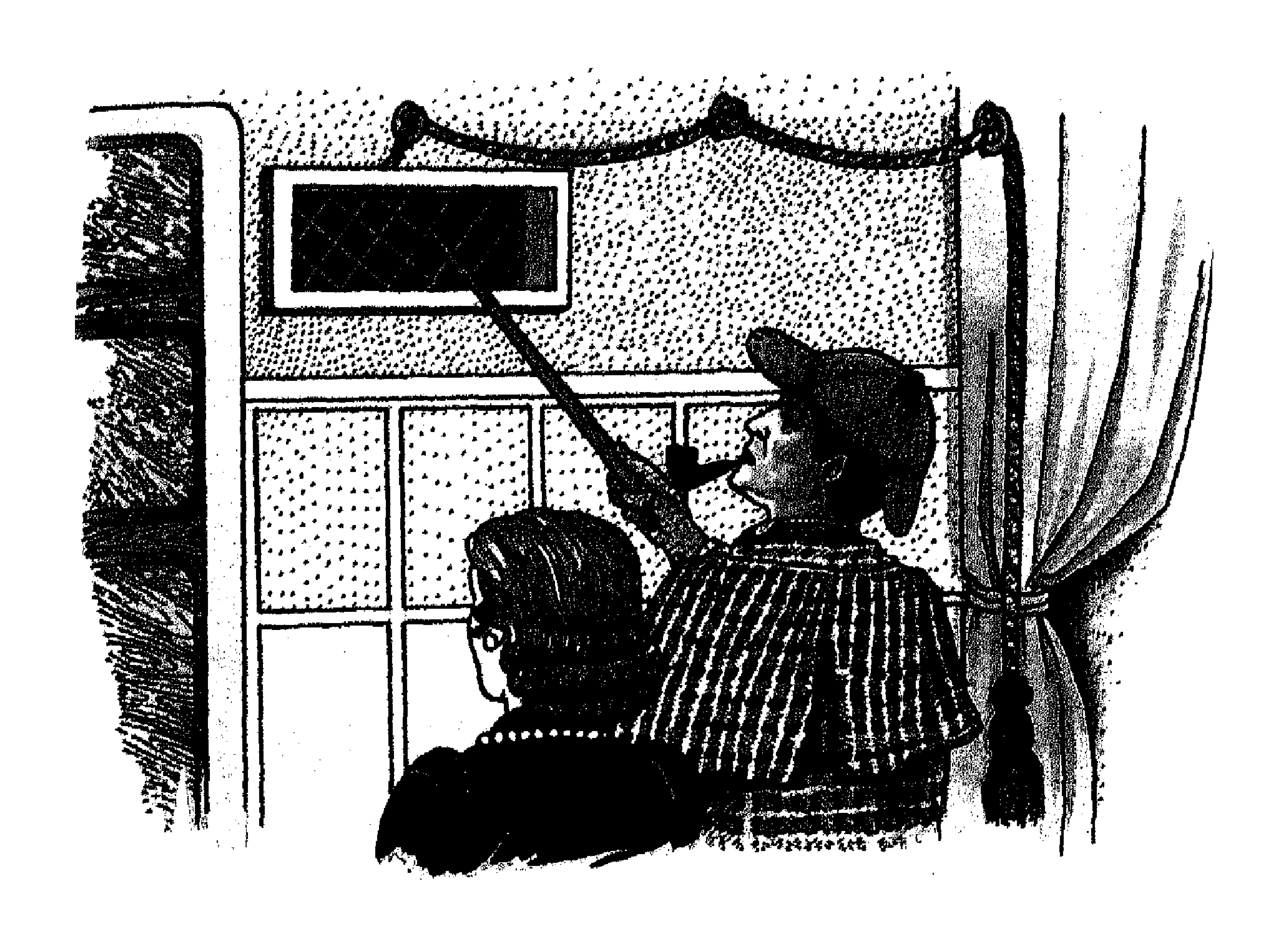
« كَلّا ، أنا واثِقَةٌ أَنَّها لَمْ تَسْتَعْمِلْهُ أَبَدًا . نَحْنُ نَخْدُمُ أَنْفُسَنا بِأَنْفُسِنا .. فَعادةً لا يُوجَدُ خَدَمٌ بِٱلمَنْزِلِ . »

« إِذًا فَلَمْ تَكُنْ هُناكَ حاجَةٌ إلى جَرَسٍ جَديدٍ . »

سارَ هُولمْز إلى ٱلفِراشِ ، وَ ظَلَّ يَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْسَكَ حَبْلَ ٱلجَرَسِ بِيَدِهِ وَ جَذَبَهُ ، وقالَ بِدَهْشةٍ : « ما هٰـذا ؟ إِنَّهُ لَيْسَ جَرَسًا حَقيقِيًّا ! »

« أَ لا يَـــدُقُّ ؟ »

« لا ، بَلْ إِنَّهُ لا يَتَّصِلُ بِأَيِّ شَيْءٍ . يا لَهُ مِنْ أَمْرٍ مُثيرٍ جِدًّا ! إِنَّهُ مُثَبَّتٌ في



ٱلحائِطِ بِمِسْمارٍ فَوْقَ فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ ٱلصَّغيرَةِ مُباشَرَةً . »

قالَتِ ٱلفَتاةُ : « يا لَلْغَباءِ ! إِنَّني لَمْ أَلْحَظْ هٰذا مِنْ قَبْلُ . »

قالَ هُولمْز في حَيْرَةٍ : « شَيْءٌ غَريبٌ أَنْ تَكونَ فُتْحَةُ ٱلتَّهْوِيَةِ مُتَّصِلَةً بِغُرْفَةٍ أُخرى ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تُطِلَّ عَلى ٱلخارِجِ لِيَدْخُلَ مِنْها ٱلهَواءُ ٱلنَّقِيُّ . »

« إِنَّ هٰذِهِ ٱلفُتْحَةَ جَديدَةٌ تَمامًا هِيَ ٱلأُخرى . »

سَأَلَها هُولمْز : « هَلْ تَمَّ فَتْحُها في ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ ٱلَّذي تَمَّ فيهِ وَضْعُ حَبْلِ ٱلجَرَسِ ؟ »

« نَعَمْ ، وَكانَتْ هُناكَ تَعْديلاتٌ بَسيطَةٌ تَمَّتْ في نَفْسِ ٱلوَقْتِ . »

ذَهَبْنا إلى غُرْفَةِ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت . كانَتْ مُؤَثَّثَةً بِأَثاثٍ بَسيطٍ ، لٰكِنَّها كانَتْ أَوْسَعَ مِنَ ٱلغُرْفَتَيْنِ ٱلأُخْرَيَيْنِ . كانَتْ هُناكَ مِنْضَدَةٌ مُسْتَديرَةٌ ، وَمَقْعَدٌ مُريحٌ ، وَصُنْدوقٌ حَديديٌّ بِجِوارِ ٱلحائِطِ .

دارَ هُولمْز بِبُطْءٍ في أَنْحاءِ ٱلغُرْفَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى ، وَفَحَصَ كُلَّ شَيْءٍ بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ . وَلَمَسَ ٱلصُّنْدوقَ وَسَأَلَ : « ماذا يُوجَدُ هُنا ؟ »

« أَوْراقُ زَوْجِ أُمِّي . »

« مَعْنى هٰذا أَنَّكِ رَأَيْتِ ما بِداخِلِهِ ؟ »

« مَرَّةً واحِدَةً فَقَطْ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ ، وَأَذْكُرُ أَنَّهُ كانَ مُمْتَلِئًا بِٱلأَوْراقِ . »

« مَثلًا ، أَلا يُوجَدُ قِطٌّ بِداخِلِهِ ؟ »

« لا ... يا لَها مِنْ فِكْرَةٍ غَريبَةٍ ! »

« حَسَنًا ، اُنْظري إلى هٰذا . » ثُمَّ أَشارَ إلى إناءٍ صَغيرٍ بِهِ لَبَنٌ كانَ مَوْضوعًا فَوْقَ ٱلصُّنْدوقِ .

قالَتْ : « تُوجَدُ حَيَواناتٌ كَثيرَةٌ في أَنْحاءِ ٱلمَكانِ ، وَلٰكِنَّها أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَشْرَبَ مِنْ هٰذا ٱلإناءِ . »

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ قُلْتِ إنَّ هُناكَ ثُعْبانًا بِٱلمَنْزِلِ .. أَظُنُّ أَنِّي رَأَيْتُ ما فيهِ ٱلكِفايَةُ يا آنِسةُ سْتُونَر . أَتَسْمَحينَ أَنْ نَعودَ إلى ٱلحَديقَةِ ؟ »

- ١٠ -

غادَرْنا غُرْفةَ ٱلطَّبيبِ . وَكانَتْ تِلْكَ إحْدى ٱلمَرّاتِ ٱلَّتي رَأَيْتُ فيها وَجْهَ صَديقي هُولمْز مُكْفَهِرًّا ، وَٱلغَضَبَ في عَيْنَيْهِ . سِرْنا عِدَّةَ دَقائِقَ ، قَبْلَ أَنْ يُعاوِدَ ٱلحَديثَ مَرَّةً أُخْرى قائِلًا لَها : « مِنَ ٱلمُهِمِّ يا آنِسةُ سْتُونَر أَنْ تُنَفِّذي ما أُشيرُ بِهِ عَلَيْكِ . »

قالَتْ : « سَأَفْعَلُ هٰذا بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

« اَلأَمْرُ خَطيرٌ جِدًّا ، وَحَياتُكِ تَتَوَقَّفُ عَلى طاعَتِكِ لي طاعَةً مُطْلَقَةً . »

« سَأُنَفِّذُ كُلَّ ما تَطْلُبُ . »

« أَوَّلًا يَجِبُ أَن أَقْضِيَ ، أَنا وَصَديقي واطْسُن ، هٰذِهِ ٱللَّيلةَ في غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ٱلَّتي كانَتْ تَشْغَلُها أُخْتُكِ . »

وَتَطَلَّعْتُ إلَيْهِ أَنا وَٱلآنِسةُ سْتُونَر في دَهْشَةٍ .

« نَعَمْ ، هٰذا أَمْرٌ لا بُدَّ مِنْهُ . دَعيني أُشْرَحْ لَكِ . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُوجَدُ في هٰذِهِ ٱلقَرْيَةِ فُنْدقٌ قَريبٌ مِنْ هُنا . »

« هٰذا صَحيحٌ . يُوجَدُ فُنْدُقُ ٱلتّاجِ . »

« حَسَنًا ! وأَعْتَقِدُ أَنَّ نَوافِذَ غُرْفَتَيْكُما يُمْكِنُ رُؤْيَتُها مِنْ ذٰلِكَ ٱلفُنْدُقِ ؟ »

« بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

« يَجِبُ أَنْ تَذْهَبي مُبَكِّرًا إلى غُرْفَةِ أُخْتِكِ ، وَلا تُقابِلي زَوْجَ أُمِّكِ . وَعِنْدَما تَسْمَعينَهُ يَأْوي إلى فِراشِهِ ، اِفْتَحي النَّافِذَةَ ، وَضَعي بِها مِصْباحًا مُضيئًا كَإِشارَةٍ لَنا ، ثُمَّ غادِري ٱلغُرْفَةَ وَاذْهَبي إلى غُرْفَتِكِ . »

« أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ ماذا تَنْوي ؟ »

« سَنَجيءُ مِنَ ٱلفُنْدُقِ ٱلقَريبِ ، وَنَقْضي ٱللَّيْلَةَ في غُرْفَةِ أُخْتِكِ ، وَسَنُصْغي جَيِّدًا لَعَلَّنا نَسْمَعُ ٱلأَصْواتَ الَّتي أَثارَتْ رُعْبَكِ . »

« أَعْتَقِدُ يا سَيِّدُ هُولمْز أَنَّكَ تَوَصَّلْتَ لِما كُنْتَ تَبْحَثُ عَنْهُ . »

« ربَّما أَكونُ قَدْ تَوَصَّلْتُ إلى ذٰلِكَ . »

« إذًا أَرْجوكَ .. أَرْجوكَ أَنْ تُخْبِرَني كَيْفَ ماتَتْ أُخْتي . »

« يَجِبُ أَنْ أَتَأَكَّدَ قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَكِ بِشَيْءٍ . »

« هَلْ تَظُنُّ أَنَّها ماتَتْ مِنَ ٱلرُّعْبِ ؟ »

« لا ، لا أَظُنُّ ذٰلِكَ . وَٱلآنَ يَجِبُ أَنْ نَذْهَبَ نَحْنُ يا آنِسةُ سْتُونَر . إذا عادَ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت وَرَآنا هُنا ، فَشِلَتْ خُطَّتُنا . إلى ٱللِّقاءِ ! تَمَسَّكي بِٱلشَّجاعةِ وَتَأَكَّدي مِنْ أَنَّكِ إذا فَعَلْتِ ما طَلَبْتُهُ مِنْكِ ، أَبْعَدْنا عَنْكِ كُلَّ خَطَرٍ ، وسَتَعيشينَ بَعْدَ ذٰلِكَ في أَمانٍ تامٍّ . »

حَصَلْتُ أَنا وَشِرْلُوك هُولمْز عَلى غُرْفةٍ في فُنْدُقِ ٱلتَّاجِ . كانَتْ في ٱلطَّابَقِ ٱلأَوَّلِ ، وَكانَ في اسْتِطاعَتِنا أَنْ نَرى ٱلبَيْتَ بِسُهولةٍ جِدًّا .

«هَلْ تَعْرِفُ يا واطْسُن أَنَّهُ مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَلَّا تَأْتِيَ مَعي ٱللَّيْلَةَ ؟ فَأَنا أَخْشى أَنْ يَكونَ هُناكَ خَطَرٌ ما .»

فَسَأَلْتُهُ : «هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أُساعِدَكَ في شَيْءٍ ؟»

«يَجِبُ أَنْ أَكونَ صادِقًا مَعَكَ : إِنَّني أَحْتاجُ إِلَيْكَ بِشِدَّةٍ .»

«إِذًا سَأَذْهَبُ مَعَكَ بِٱلتَّأْكيدِ .»

«وَأَنا سَأَكونُ شاكِرًا لَكَ كُلَّ ٱلشُّكْرِ .»

«إِنَّكَ تَتَحَدَّثُ عَنْ خَطَرٍ ، فَيَبْدُو أَنَّكَ رَأَيْتَ في تِلْكَ ٱلغُرْفَةِ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَطَعْتُ أَنا أَنْ أَرى .»

«حَسَنًا ، كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّنا سَنَجِدُ فُتْحةً لِلتَّهْوِيَةِ قَبْلَ أَنْ نَجيءَ أَصْلًا إِلى ٱلمَنْزِلِ .»

«أَنْتَ رائِعٌ يا هُولمْز !»

«نَعَمْ ، كُنْتُ أَعْرِفُ .. أَلا تَتَذَكَّرُ أَنَّ هِيلِين سْتُونَر قالَتْ إِنَّ أُخْتَها كانَتْ تَشُمُّ رائِحةَ سَجائِرِ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت ؟ وَعِنْدَما كانَ رِجالُ ٱلشُّرطَةِ يُحَقِّقونَ في حادِثِ مَوْتِ أُخْتِها ، لَمْ يَتَحَدَّثْ أَحَدٌ عَنْ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيَةِ ، لِذٰلِكَ اسْتَنْتَجْتُ أَنَّها لا بُدَّ أَنْ تَكونَ فُتْحَةً صَغيرَةً .»

«لٰكِنْ هَلْ هُناكَ أَهَمِّيَّةٌ لِكُلِّ هٰذا ؟»

فَسَأَلَني هُولمْز : «أَلا تَرى مَعي أَنَّ هُناكَ تَساؤُلاتٍ كَثيرةً تَطْرَحُ نَفْسَها ؟

لِماذا تَمَّ عَمَلُ فُتْحةٍ لِلتَّهْوِيةِ في ٱلوَقْتِ الَّذي تَمَّ فيهِ تَعْليقُ حَبْلِ ٱلجَرَسِ ؟ وَعَقِبَ ذٰلِكَ ماتَتِ ٱلسَّيِّدةُ الَّتي تَنامُ في هٰذا ٱلفِراشِ ؟ »

« ما زالَ ٱلأَمْرُ غامِضًا بِٱلنِّسْبَةِ لي . »

« أَ لَمْ تُلاحِظْ أَنَّ السَّريرَ كانَ مُثَبَّتًا بِٱلمَساميرِ إلى ٱلأَرْضِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعةِ ٱلسَّيِّدةِ تَحْريكُ سَريرِها مِنْ مَكانِهِ ؟ ! وَكَأَنَّهُ كانَ مُحَدَّدًا أَنْ يَبْقى هُناكَ بِجِوارِ حَبْلِ ٱلجَرَسِ ، وَتَحْتَ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ! »

صِحْتُ : « هُولمْز .. لَقَدْ بَدَأْتُ أَفْهَمُ ! لَقَدْ جِئْنا هُنا في ٱلوَقْتِ ٱلمُناسِبِ لِنَمْنَعَ جَريمةَ قَتْلٍ أُخرى . »

« هٰذا صَحيحٌ ، وَعَلَيْنا أَنْ نُواجِهَ ، في سَبيلِ هٰذا ، لَيْلةً مُخيفةً . »

— ١١ —

كانَ ٱلظَّلامُ يُخَيِّمُ عَلى ٱلبَيْتِ الَّذي كُنَّا نُراقِبُهُ ، وَمَرَّتِ ٱلسَّاعاتُ بَطيئةً . وَفَجْأَةً ، عِنْدَما دَقَّتِ ٱلسَّاعةُ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ ، ظَهَرَتْ أَمامَنا شُعْلةُ نورٍ مُتَلأْلِئةٌ .

قالَ هُولمْز وَهُوَ يَقْفِزُ واقِفًا : « هٰذِهِ هِيَ ٱلإِشارةُ ! إِنَّها تَصْدُرُ مِنَ ٱلنَّافِذةِ الَّتي إلى ٱليَمينِ . »

لَمْ تَمْضِ لَحَظاتٌ حَتَّى كُنَّا نُسْرِعُ في ٱلطَّريقِ ٱلمُظْلِمِ ، وَٱلرِّيحُ ٱلبارِدةُ تَهُبُّ عَلى وَجْهَيْنا ، وَشُعْلةُ ضَوْءٍ تَقودُنا إلى مَصيرِنا . وَوَصَلْنا إلى ٱلحَديقَةِ ، وَمَشَيْنا فِيها بِهُدوءٍ ، ثُمَّ تَسَلَّلْنا إلى داخِلِ ٱلبَيْتِ ، وَأَغْلَقْنا ٱلنَّافِذةَ . وَضَعْنا

آلمِصْباحَ فَوْقَ آلمائِدةِ . وَنَظَرَ هُولمْز حَوْلَهُ . وَلَمْ يَكُنْ قَدْ تَغَيَّرَ شَيْءٌ في آلغُرْفَةِ . وَهَمَسَ لي : «يَجِبُ أَلَّا نُحْدِثَ أَيَّ صَوْتٍ . »

هَزَزْتُ لَهُ رَأْسي بِآلإيْجابِ .

«وَيَجِبُ أَنْ نَبْقى بِغَيْرِ ضَوْءٍ ، فَقَدْ يَراهُ مِنْ فُتْحةِ آلتَّهْوِيةِ . »

مَرَّةً ثانيةً أَشَرْتُ لَهُ أَنَّني أُوافِقُهُ .

« تَنَبَّهْ جَيِّدًا ، فَحَياتُكَ في خَطَرٍ . كُنْ مُسْتَعِدًّا بِمُسَدَّسِكَ . سَأَجْلِسُ عَلى آلفِراشِ ، وَتَجْلِسُ أَنْتَ عَلى آلمَقْعَدِ . »

أَخْرَجْتُ مُسَدَّسي وَوَضَعْتُهُ فَوْقَ آلمائِدةِ .

كانَ هُولمْز قَدْ أَحْضَرَ عَصًا طَويلَةً رَفيعَةً ، وَضَعَها بِجِوارِهِ عَلى آلفِراشِ ، مَعَ عُلْبَةِ ثِقابٍ ، ثُمَّ أَطْفَأَ آلمِصْباحَ فَسادَ آلظَّلامُ آلحُجْرَةَ .

- ١٢ -

كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ أَنْسى تِلْكَ آلسَّاعاتِ آلمُخيفَةَ ؟ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ هُولمْز يَجْلِسُ بِآلقُرْبِ مِنِّي وَعَيْناهُ مَفْتوحَتانِ ، يُصْغي وَيُراقِبُ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ آلقَلَقُ مِثْلي . كانَ آلظَّلامُ حالِكًا ، وَتَرامَتْ إلى أَسْماعِنا مِنَ آلخارِجِ صَيْحةٌ مُعْتادةٌ لِطائِرٍ لَيْلِيٍّ ، وَمِنْ بَعيدٍ كانَتْ ساعةُ آلمَدينةِ تَدُقُّ كُلَّ رُبْعِ ساعةٍ . وَكُنَّا نُحِسُّ بِأَنَّ هٰذِهِ آلأَرْباعَ طَويلةٌ جِدًّا .. آلسَّاعةُ آلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ .. آلواحِدَةُ .. آلثَّانِيَةُ ثُمَّ آلثَّالِثَةُ .. وَنَحْنُ جالِسانِ نَنْتَظِرُ في هُدوءٍ أَيَّ شَيْءٍ يَحْدُثُ .

فَجْأَةً ، ظَهَرَ ضَوْءٌ مِنْ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ثُمَّ سَمِعْنا صَليلَ سِلْسِلةٍ ثُمَّ صَوْتًا خافِتًا جِدًّا ، كَأَنَّهُ صَوْتُ بُخارٍ يَخْرُجُ مِنْ إناءٍ . وَما إنْ سَمِعَ هُولمْز ذٰلِكَ ٱلصَّوْتَ ، حَتَّى قَفَزَ مِنْ فَوْقِ ٱلفِراشِ وَأَشْعَلَ عُودًا مِنَ ٱلثِّقابِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَضْرِبُ بِعَصاهُ بِسُرْعَةٍ وَعُنْفٍ .

صاحَ : « هَلْ رَأَيْتَهُ يا واطْسُن ؟ هَلْ رَأَيْتَهُ ؟ »

لٰكِنَّني لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُ شَيْئًا ، وَسَمِعْتُ صَفيرًا خافِتًا واضِحًا . وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَرى وَجْهَ هُولمْز : كانَ شاحِبًا شُحوبَ ٱلمَوْتى ، وَقَدْ شاعَ فيهِ ٱلرُّعْبُ وَٱلبُغْضُ . وَتَناوَلَ ٱلمِصْباحَ وَأَشْعَلَهُ وَوَقَفَ هُولمْز ساكِنًا يَنْظُرُ إلى فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ . وَفَجْأَةً ٱرْتَفَعَتْ أَشَدُّ صَرْخَةِ رُعْبٍ سَمِعْتُها في حَياتي ، وَتَعالَتْ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ، وَقَدِ اخْتَلَطَ فِيها ٱلأَلَمُ بِٱلخَوْفِ وَٱلغَضَبِ . وَسَرَتِ ٱلبُرودةُ في جِسْمي كُلِّهِ عِنْدَ سَماعِها . أَخيرًا ، سَكَتَتِ ٱلصَّرْخَةُ ، وَخَيَّمَ ٱلسُّكونُ .

هَمَسْتُ : « ما مَعْنى هٰذا ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « مَعْناهُ أَنَّ ٱلقَضِيَّةَ ٱنْتَهَتْ ؛ وَلَعَلَّ هٰذِهِ ٱلنِّهايَةَ أَفْضَلُ نَتيجَةٍ لِلْقَضِيَّةِ . تَناوَلْ مُسَدَّسكَ ؛ فَيَجِبُ أَنْ نَدْخُلَ غُرْفَةَ ٱلدُّكتورِ رُويْلُوت . »

أَخَذْنا ٱلمِصْباحَ وَدَخَلْنا غُرْفَةَ ٱلطَّبيبِ . كانَ مُسَدَّسي في يَدي مُعَدًّا لِلإِطْلاقِ . وَوَجَدْنا مِصْباحًا مُضاءً مَوْضوعًا عَلى ٱلمائِدَةِ ، وَكانَ ٱلصُّنْدوقُ ٱلحَديدِيُّ مَفْتوحًا ، وَٱلطَّبيبُ جالِسًا عَلى مَقْعَدٍ . كانَ رَأْسُهُ مُنْتَصِبًا إلى أَعْلى ، وَعَيْناهُ ثابِتَتَيْنِ تُحَدِّقانِ في رُعْبٍ وَفَزَعٍ ، وَحَوْلَ رَأْسِهِ عِصابَةٌ صَفْراءُ



ذاتُ نُقَطٍ بُنِّيَّةٍ . وَعِنْدَما دَخَلْنا ٱلغُرْفَةَ لَمْ تَصْدُرْ عَنْهُ أَيَّةُ حَرَكَةٍ .

هَمَسَ هُولمْز : «اَلعِصابَةُ ! اَلعِصابَةُ ٱلمُرَقَّطَةُ ! »

تَقَدَّمْتُ خُطْوَةً ، وَفي ٱلحالِ ، تَحَرَّكَتِ ٱلعِصابَةُ ... وَكانَتْ ثُعْبانًا .

صاحَ هُولمْز : «إنَّها أَخْطَرُ ثَعابِيْنِ ٱلهِنْدِ ! إنَّها ٱلحَيَّةُ ٱلرَّقْطاءُ ! مِنَ ٱلمُؤَكَّدِ أَنَّهُ ماتَ بَعْدَ عَشْرِ ثَوانٍ مِنْ لَدْغَتِها . »

وَعِنْدَما تَحَرَّكَ ٱلثُّعْبانُ ناحِيَتَنا ، أَطْلَقْتُ ٱلنّارَ عَلى رَأْسِهِ ، وَكُنْتُ أَرْتَجِفُ وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ . وَبَدا أَنَّ صَوْتَ ٱلطَّلْقَةِ أَيْقَظَنا مِنْ كابُوسٍ مُخِيْفٍ .

سَمِعَتِ ٱلفَتاةُ ٱلمَرْعوبةُ صَوْتَ ٱلطَّلْقَةِ ، فَصاحَتْ تَطْلُبُ ٱلعَوْنَ مِنّا . وَطَمْأَنَها هُولمْز ، وَأَخْبَرَها أَنَّ ٱلأَمْرَ ٱنْتَهى ، وَأَنَّهُ لا خَطَرَ عَلَيْها بَعْدَ ذٰلِكَ ، ثُمَّ رَوى لَها ٱلقِصَّةَ .

قالَ : «لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ ٱلخَطَرَ يَكْمُنُ في فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ وَحَبْلِ ٱلجَرَسِ . عَرَفْتُ أَنَّ شَيْئًا ما يَأْتي مِنْ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، وَأَنَّ حَبْلَ ٱلجَرَسِ قَدْ تَمَّ وَضْعُهُ هُناكَ لِيَقودَ هٰذا ٱلشَّيْءَ إلى ٱلفِراشِ . »

صاحَتِ ٱلفَتاةُ : «اَلثُّعْبانُ ! أَ كُنْتَ تَعْرِفُ أَمْرَ ٱلثُّعْبانِ ؟ »

« نَعَمْ ، وَهٰذا ٱلنَّوْعُ مِنَ ٱلثَّعابِينِ ٱلسّامَّةِ لَهُ لَدْغةٌ لا يُمْكِنُ اكْتِشافُها . لَقَدِ اسْتَخْدَمَ هٰذا ٱلرَّجُلُ ٱلذَّكيُّ خِبْرَتَهُ ٱلَّتي اكْتَسَبها مِنَ ٱلهِنْدِ ، لِيَقْتُلَ . لَقَدْ عَلَّمَ ٱلثُّعْبانَ أَنْ يُطيعَ ٱلصَّفيرَ ٱلَّذي سَمِعْتِهِ ، فَكانَ يَعودُ إلى سَيِّدِهِ كُلَّما سَمِعَ ذٰلِكَ

آلصَّفيرَ ، فيُقَدِّمُ لَهُ آلدُّكْتور رُويْلُوت وِعاءَ آللَّبَنِ .

« وَكانَ مِنَ آلسَّهْلِ إدْخالُهُ في فُتْحةِ آلتَّهْوِيةِ ، في وَقْتٍ يَتِمُّ اخْتيارُهُ وَتَحْديدُهُ ؛ وَكانَ آلطَّبيبُ واثِقًا أَنَّ آلثُّعْبانَ سَيَهْبِطُ عَلى آلحَبْلِ وَيَسْتَقِرُّ فَوْقَ آلفِراشِ ، ثُمَّ يَلْدَغُ آلشَّخْصَ آلرَّاقِدَ هُناكَ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَتَحَرَّكَ .

« وَكانَ يَحْتَفِظُ بِآلثُّعبانِ في آلصُّنْدوقِ آلحَديديِّ ، الَّذي يُحْدِثُ عِنْدَ إغْلاقِهِ صَوْتَ آلشَّيْءِ آلمَعْدِنيِّ الَّذي سَمِعْناهُ .

« لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ آلفَحيحِ عِنْدَما تَسَلَّلَ آلثُّعْبانُ مِنْ فُتْحةِ آلتَّهْوِيةِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّني كُنْتُ عَلى صَوابٍ في كُلِّ اسْتِنْتاجاتي . فَهاجَمْتُ آلثُّعْبانَ بِعَصايْ ، وَأَرْغَمْتُهُ عَلى آلعَوْدةِ مِنْ خِلالِ فُتْحةِ آلتَّهْوِيةِ ، وَأَثارَ هٰذا غَضَبَ آلثُّعْبانِ ، لِذٰلِكَ عادَ إلى آلطَّبيبِ مُباشَرةً وَلَدَغَهُ .

« وَلَعَلَّني أَكونُ بِذٰلِكَ قَدْ قَتَلْتُ آلطَّبيبَ ، لٰكِنْ لا أَسْتَطيعُ آلقَوْلَ إنَّني أَشْعُرُ بِأَيِّ أَسَفٍ لِذٰلِكَ . »

هٰذِهِ هِيَ آلوَقائِعُ آلحَقيقِيَّةُ لِمَوْتِ آلدُّكْتور رُويْلُوت ؛ وَهُنا تَنْتَهي قِصَّتي .

بُذورُ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسُ

– ١ –

جَلَسَ إِلْياس أُوبِنْشو إلى مائِدةِ ٱلإفْطارِ ، يَتأَمَّلُ خِطابًا كانَ مَوْضوعًا بِجِوارِ طَبَقِهِ . تَناوَلَهُ قائِلًا : « إنَّهُ مِنَ ٱلهِنْدِ ! هٰـذا خاتَمُ بَريدِ بُونْدشِيري ! تُرى ماذا يَحْوي ؟ »

فَتَحَ ٱلخِطابَ فَسَقَطَتْ مِنْهُ خَمْسُ بُذورٍ .. بُذورِ بُرْتُقالٍ .. شَيْءٌ غَريبٌ ! وَ ضَحِكَ ٱلشّابُّ ٱلَّذي يَجْلِسُ مَعَ عَمِّهِ إِلْياس إلى ٱلمائدةِ ، لٰكِنَّ ضَحْكَتَهُ تَلاشَتْ فَوْقَ شَفَتَيْهِ عِنْدَما رَأى وَجْهَ عَمِّهِ .

لَقَدْ فَتَحَ إِلْيـاس أُوبِـنْشو فَمَـهُ ، وَ جَحَـظَتْ عَيْنـاهُ ، وَ شَحَبَ لَوْنُـهُ ، وَٱرْتَجَفَتْ يَداهُ وَهُوَ يُمْسِكُ بِٱلخِطابِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَئِنُّ : « ك . ك . ك . ! » وَ صاحَ فَجْأَةً : « يا إِلٰـهي ! لَقَدْ وَجَدَني ! ماذا أَفْعَلُ ؟! »

صاحَ ٱلشّابُّ : « ما ٱلأَمْرُ يا عَمِّي ؟ »

قالَ إِلْياس : « اَلمَوْتُ ! » ثُمَّ نَهَضَ مِنْ فَوْقِ كُرْسِيِّهِ ، وَ غادَرَ ٱلغُرْفَةَ تارِكًا ٱلشّابَّ جُون أُوبِنْشو حائِرًا ، وَ قَدْ تَمَلَّكَهُ خَوْفٌ شَديدٌ .

اِلْتَقَطَ جُون ٱلخِطابَ . كانَ حَرْفُ « ك » مَكْتوبًا ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وَ لا شَيْءَ آخَرَ سِوى بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ ٱلجافَّةِ . وَ لَمْ يَجِدْ جُون في هٰـذا سَبَبًا كافِيًا لِكُلِّ هٰـذا ٱلرُّعْبِ ٱلَّذي أَصابَ عَمَّهُ .

غادَرَ جُون مائِدَةَ ٱلإِفْطارِ . وَبَيْنَما كانَ يَصْعَدُ ٱلسُّلَّمَ قابَلَ عَمَّهُ يَهْبِطُ مُمْسِكًا بِإِحْدى يَدَيْهِ مِفْتاحًا ضَخْمًا ، وَ بِالْيَدِ ٱلأُخْرى صُنْدوقًا أَسْوَدَ صَغيرًا .

قالَ ٱلعَمُّ في غَضَبٍ : « لِيَفْعَلوا ما يُريدونَ ، لٰكِنِّي سَأَنْتَصِرُ في ٱلنِّهايَةِ . قُلْ لِلْخادِمَةِ ماري أَنْ تُشْعِلَ ٱلنّارَ في مِدْفَأَةِ غُرْفَتي ٱللَّيْلَةَ ، ثُمَّ ابْعَثْ في طَلَبِ ٱلمُحامي فوردهام . » فَهَزَّ جُون رَأْسَهُ مُوافِقًا .

كانَ جُون يَعيشُ مَعَ عَمِّهِ إِلْياس مُنْذُ كانَ في ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ . فَقَدْ عادَ عَمُّهُ إِلى إِنجِلْتِرا عامَ ١٨٧٠ ، بَعْدَ أَنْ قَضى مُعْظَمَ حَياتِهِ في أَمْريكا ، شارَكَ خِلالَها في ٱلحَرْبِ ٱلأَهْلِيَّةِ ٱلأَمْريكِيَّةِ (١٨٦١ – ١٨٦٥) .

بَعْدَ أَنِ ٱنْتَهَتِ ٱلحَرْبُ ، أَقامَ في فْلوريدا . وَ بَعْدَ أَنْ كَوَّنَ ثَرْوَةً طائِلَةً ، قَرَّرَ أَنْ يَعودَ إِلى إِنجِلْتِرا ، حَيْثُ ٱشْتَرى مَنْزِلًا جَميلًا ، وَ قِطْعَةَ أَرْضٍ في مَدينَةٍ صَغيرَةٍ تُسَمَّى هُورْشام . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ أَوْ أَوْلادٌ ، فَطَلَبَ مِنْ أَخيهِ أَنْ يَسْمَحَ لِابْنِهِ جُون أَنْ يَعيشَ مَعَهُ . وَ كانَ شَديدَ ٱلعَطْفِ عَلى ٱلغُلامِ . وَ عِنْدَما بَلَغَ جُون ٱلسّادِسَةَ عَشْرَةَ ، أَصْبَحَ هُوَ ٱلمُشْرِفَ عَلى كُلِّ شُؤُونِ ٱلبَيْتِ تَقْريبًا . فَقَدْ كانَ يَحْتَفِظُ بِكُلِّ ٱلمَفاتيحِ ، وَ يُمْسِكُ ٱلحِساباتِ ، وَ يَذْهَبُ حَيْثُ يَشاءُ ، وَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ . فَقَدْ كانَ إِلْياس يُحِبُّ دائِمًا ٱلانْفِرادَ بِنَفْسِهِ .

كانَتْ في ٱلمَنْزِلِ غُرْفَةٌ واحِدَةٌ لَمْ يَسْمَحْ إِلْياس لِجُون بِدُخولِها . كانَتْ مُغْلَقَةً دائِمًا بِالمِفْتاحِ ، وَ كانَ إِلْياس يَحْتَفِظُ بِمِفْتاحِها . وَ كَثيرًا ما قامَ جُون ، في مُناسَباتٍ عَديدَةٍ ، مَدْفوعًا بِحُبِّ ٱلاسْتِطْلاعِ ٱلَّذي يُسَيْطِرُ عَلى ٱلصِّغارِ ،

بِالنَّظَرِ مِنْ ثَقْبِ ٱلبابِ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَبَدًا أَنْ يَرى أَكْثَرَ مِنْ مَجْموعَةٍ مِنَ ٱلصَّناديقِ ٱلقَديمةِ .

— ٢ —

نَفَّذَ جُون تَعْليماتِ عَمِّهِ إِلْياس ، وَ أَرْسَلَ في طَلَبِ ٱلمُحامي . وَ عِنْدَما وَصَلَ ٱلمُحامي فُورْدهام صَعِدَ مَعَهُ إِلى ٱلغُرْفةِ ٱلَّتي قَضى بِها ٱلعَمُّ فَتْرةَ ٱلصَّباحِ .

كانَتِ ٱلنَّارُ تَشْتَعِلُ بِشِدَّةٍ في ٱلمِدْفَأَةِ ، وَ قَدْ تَناثَرَتْ حَوْلَها بَقايا سَوْداءُ لِأَوْراقٍ مُحْتَرِقَةٍ . وَ كانَ ٱلصُّنْدوقُ ٱلصَّغيرُ ، ٱلَّذي شاهَدَ جُون عَمَّهُ يَحْمِلُهُ ، مَفْتوحًا وَ فارِغًا .



عِنْدَما كانَ جُون يَتطَلَّعُ إلى ٱلصُّنْدوقِ ، لاحَظَ أَنَّ حَرْفَ ٱلكافِ مَكْتوبٌ عَلَيْهِ وَمُكَرَّرٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، تَمامًا كَما سَبَقَ أَنْ شاهَدَهُ مَكْتوبًا في ٱلخِطابِ وَقْتَ تَناوُلِ ٱلإفْطارِ .

قالَ إِلْياس : « أُريدُكَ يافُورْدهام أَنْ تَكْتُبَ لي وَصِيَّتي . هاهِيَ ذي بَعْضُ ٱلأَوْراقِ بَيَّنْتُ لَكَ فيها مَنِ ٱلَّذي قَرَّرْتُ أَنْ يَرِثَ أَمْوالي وَمُمْتَلَكاتي بَعْدَ وَفاتي . »

بَيْنَما كانَ فُورْدهام يَكْتُبُ ٱلوَصِيَّةَ ، قالَ إِلْياس لِجُون : « سَأَتْرُكُ كُلَّ شَيْءٍ لِوالِدِكَ .. فَهُوَ أَخي . وَلاشَكَّ في أَنَّهُ سَيَتْرُكُها لَكَ كُلَّها في ٱلوَقْتِ ٱلمُناسِبِ .. أَنا لا أَعْرِفُ ما سَيَحْدُثُ .. هَيَّا ياجُون لِتُوَقِّعَ عَلى ٱلوَرَقَةِ في ٱلمَكانِ ٱلَّذي يُحَدِّدُهُ لَكَ ٱلسَّيِّدُ فُورْدهام . »

وَقَّعَ جُون عَلى ٱلوَصِيَّةِ ، كَشاهِدٍ عَلى تَوْقيعِ عَمِّهِ ، وَأَخَذَ ٱلمُحامي ٱلوَصِيَّةَ مَعَهُ عِنْدَما ٱنصَرَفَ .

أَثارَتْ هٰذِهِ ٱلأَحْداثُ ٱلغَريبَةُ حَيْرَةَ جُون ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ كَلامَ عَمِّهِ ، لٰكِنْ كانَ يَبْدو لَهُ أَنَّ في ٱلأَمْرِ سِرًّا .

مَرَّتِ ٱلأَيَّامُ ، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . وَمَعَ مُرورِها ، بَدَأَ ٱهتِمامُ جُون وَتَفْكيرُهُ في ٱلأَمْرِ يَقِلُّ شَيْئًا فَشَيْئًا ، في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي لَمْ يَحْدُثْ مايُمْكِنُ أَنْ يُغَيِّرَ نِظامَ حَياتِهِ ٱلهادِئَةِ هُوَ وَعَمِّهِ .

لاحَظَ جُون تَغَيُّرًا طَرَأَ عَلى عَمِّهِ ؛ فَقَدْ أَخَذَ يُكْثِرُ مِنَ ٱلشُّرْبِ ، وَيُغْلِقُ غُرْفَتَهُ عَلى نَفْسِهِ ، عازِفًا عَنْ رُؤْيَةِ أَيِّ شَخْصٍ . وَذاتَ يَوْمٍ خَرَجَ عَمُّهُ مِنْ غُرْفَتِهِ

ثائرًا غاضِبًا وَ آندَفَعَ إلى آلحَديقةِ وَ هُوَ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ في يَدِهِ ، وَ يَصْرُخُ قائِلًا : «لِماذا يَجِبُ أَنْ أَعيشَ سَجينًا كَأَنَّني مُجْرِمٌ مَحْكومٌ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ ؟! أَنا لا أَخافُ أَحَدًا ! »

وَ فَجْأَةً تَمَلَّكَهُ آلخَوْفُ ، فَآندَفَعَ عائِدًا إلى آلمَنْزِلِ ، وَ دَخَلَ غُرْفَتَهُ ، وَ أَغْلَقَ بابَهُ عَلى نَفْسِهِ مَرَّةً أُخْرى .


– ٣ –

ذاتَ لَيْلَةٍ سَمِعَ جُون صَرْخَةً ، فَغادَرَ فِراشَهُ مُسْرِعًا إلى غُرْفَةِ عَمِّهِ . كانَ آلبابُ مَفْتوحًا ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا بِالغُرْفَةِ . فَآنْدَفَعَ جُون ناحِيَةَ آلحَديقَةِ ، فَوَجَدَ آلبابَ آلمُؤَدِّيَ إِلَيْها مَفْتوحًا عَلى مِصْراعَيْهِ .

ذَهَبَ جُون وَ أَيْقَظَ آلخادِمَ ، وَ أَخَذَ مِصْباحًا ، وَ خَرَجا يَبْحَثانِ عَنْ إِلْياس أُوبِنْشو .

أَخيرًا وَجَدَ عَمَّهُ في نِهايَةِ آلحَديقَةِ ، مُنْكَفِئًا عَلى وَجْهِهِ في بِرْكَةِ ماءٍ صَغيرَةٍ جِدًّا ، وَ قَدْ فارَقَتْهُ آلحَياةُ . لَمْ يَكُنْ عُمْقُ آلماءِ يَزيدُ عَلى نِصْفِ مِتْرٍ ، وَ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ما يُشيرُ إلى حُدوثِ مُقاوَمَةٍ . وَ بِسَبَبِ سُلوكِهِ آلغَريبِ جِدًّا في آلأَشْهُرِ آلأَخيرَةِ ، فَقَدْ رَجَّحَ رِجالُ آلشُّرْطَةِ أَنَّهُ آنْتَحَرَ .

لَمْ يَقْتَنِعْ جُون بِـذٰلِكَ . كانَ يَعْرِفُ عَمَّهُ جَيِّدًا ، وَ كانَ يَعْرِفُ مَدى حِرْصِهِ عَلى حَياتِهِ . لِـذٰلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ أَنْ عَمَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُقْدِمَ عَلى آلمَوْتِ



بِهٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ . لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ دَلِيلٌ عَلى أَنَّهُ قُتِلَ بِيَدِ شَخْصٍ آخَرَ ، أَوْ أَنَّ لَهُ أَعْداءً . وَ فَجْأَةً تَذَكَّرَ حادِثَةَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ عَلى مائِدَةِ ٱلإِفْطارِ .

هٰكَذا ٱنْتَهى ٱلأَمْرُ ، وَ آلَتْ إِلى والِدِ جُون ثَرْوَةُ إِلْياس وَ بَيْتُهُ طِبْقًا لِلْوَصِيَّةِ . وَ قَرَّرَ ٱلأَبُ وَ ٱبْنُهُ جُون أَنْ يَعيشا في ٱلمَنْزِلِ .

عِنْدَما جاءَ ٱلأَبُ إِلى ٱلمَنْزِلِ ، طَلَبَ مِنْهُ جُون أَنْ يَفْحَصا مَعًا بِعِنايَةٍ ٱلغُرْفَةَ ٱلَّتي كانَتْ مُغْلَقَةً بِصِفَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ . لَمْ يَجِدا في داخِلِها غَيْرَ صُنْدوقٍ صَغيرٍ ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا وَرَقَةٌ كُتِبَ عَلَيْها ٱلحَرْفُ « ك » ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وَمَكْتوبٌ في أَسْفَلِها « رَسائِلُ وإِيصالاتٌ » .

قالَ جُون لِوالِدِهِ : « لابُدَّ أَنَّ هٰذِهِ ٱلرَّسائِلَ وَ ٱلإِيصالاتِ هِيَ ما سَبَقَ أَنْ أَحْرَقَهُ عَمِّي . »

— ٤ —

ظَلَّ جُون وَوالِدُهُ يَعيشانِ في سَعادَةٍ مُدَّةَ عامٍ بِأَكْمَلِهِ . وَ ذاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَما كانا يَجْلِسانِ إِلى مائِدَةِ ٱلإِفْطارِ ، سَمِعَ جُون فَجْأَةً صَيْحَةَ دَهْشَةٍ حادَّةً ، فَنَظَرَ إِلى والِدِهِ ، فَرَأى في يَدِهِ خِطابًا مَفْتوحًا ، وَ خَمْسَ بُذورِ بُرْتُقالٍ قَدِ ٱسْتَقَرَّتْ في طَبَقٍ أَمامَهُ .

كانَ ٱلأَبُ يَسْخَرُ دائِمًا مِنْ رِوايَةِ جُون عن إِلْياس وَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ ، لٰكِنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ ٱلآنَ عَلاماتُ ٱلحَيْرَةِ وَ ٱلخَوْفِ .

قالَ والِدُ جُون هامِسًا : « بِحَقِّ ٱلسَّماءِ ، ما مَعْنى هٰذا يا جُون ؟! »

أجابَ جُون مُكْتَئِبًا : «إنَّها آلـ ك . ك . ك .»

«هٰـذا ما يَقولُهُ آلخِطابُ . هاهِيَ ذي آلأَحْرُفُ ك . ك . ك . وَ جاءَ في آلخِطابِ أنْ أَضَعَ آلأَوْراقَ عَلى آلمَقْعَدِ آلحَجَرِيِّ . أَيَّةُ أَوْراقٍ يا جُون ؟ وَ أَيُّ مَقْعَدٍ حَجَرِيٍّ ؟»

قالَ جُون : «لا يُوجَدُ مَقْعَدٌ حَجَرِيٌّ إلَّا في آلحَديقَةِ ، أَمَّا آلأَوْراقُ فَلا بُدَّ أَنْ تَكونَ تِلْكَ آلأَوْراقَ آلَّتي أَحْرَقَها عَمِّي إلْياس .»

قالَ آلأَبُ وَ قَدِ آسْتَعادَ شَجاعَتَهُ : «حَسَنًا ، هٰـذا كُلُّهُ لا مَعْنَى لَهُ . مِنْ أَيْنَ جاءَ هٰـذا آلخِطابُ ؟»

وَ نَظَرَ جُون إلى خاتِمِ آلبَريدِ وَ قالَ : «مِنْ دَنْدي في آسْكُتْلَنْدا .»

«لِماذا يَكْتُبونَ إلَيَّ عَنْ مَقاعِدَ حَجَرِيَّةٍ وَ أَوْراقٍ ؟ . لَنْ أُعيرَ مِثْلَ هٰـذا آلخِطابِ آلسَّخيفِ أَيَّ آهْتِمامٍ .»

قالَ جُون : «يَجِبُ أَنْ نُبْلِغَ آلشُّرْطَةَ .»

«لِكَيْ يَسْخَروا مِنّا ؟! لا .. لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ هٰـذا .»

«إذًا دَعْني أَنا أَذْهَبُ إلَيْهِمْ .»

«لا .. إنّي أَمْنَعُكَ .» وَ أَدْرَكَ جُون أَنَّ والِدَهُ مُصَمِّمٌ عَلى رَأْيِهِ ، فَسَكَتَ .

وَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ، قَرَّرَ والِدُهُ أَنْ يُسافِرَ لِزِيارَةِ صَديقٍ في مَكانٍ غَيْرِ بَعيدٍ .

وَ آرْتاحَ جُون لِـذٰلِكَ ، فَقَدِ آعْتَقَدَ أَنَّ أَباهُ سَيَكونُ في أَمانٍ عِدَّةَ أَيَّامٍ بَعيدًا عَنِ آلمَنْزِلِ .

لٰكِنَّهُ كانَ مُخْطِئًا . فَبَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنْ سَفَرِ آلأَبِ ، تَسَلَّمَ جُون رِسالَةً تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ فَوْرًا إلى مَنْزِلِ آلصَّديقِ آلَّذي سافَرَ إِلَيْهِ والِدُهُ .

هُناكَ قالَ لَهُ آلصَّديقُ في حُزْنٍ : « لَقَدْ سَقَطَ والِدُكَ مِنْ فَوْقِ صَخْرَةٍ عالِيَةٍ ، وَ وَجَدْتُهُ مُلْقًى هُناكَ ، لٰكِنَّهُ ماتَ دونَ أَنْ يُخْبِرَني بِأَيِّ شَيْءٍ . »

— ٥ —

كانَ جُون واثِقًا أَنَّ وَفاةَ والِدِهِ لا يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ حادِثًا عارِضًا . وَ عِنْدَما ذَهَبَ إلى آلمَكانِ آلَّذي سَقَطَ مِنْهُ والِدُهُ ، لَمْ يَجِدْ هُناكَ آثارَ مُقاوَمةٍ ، أَوْ آثارَ أَقْدامٍ ، وَ لَمْ يُسْرَقْ شَيْءٌ مِنْ جُيوبِ والِدِهِ ، وَ لَمْ يَكُنْ هُناكَ مَنْ شاهَدَ إنسانًا غَريبًا في آلمِنْطَقَةِ . وَ رَغْمَ ذٰلِكَ ، لَمْ يَقْتَنِعْ جُون بِأَنَّ والِدَهُ ماتَ مِيتَةً طَبيعِيَّةً كَما قالَ آلصَّديقُ . كانَ واثِقًا مِنْ أَنَّ هُناكَ مَنْ تَسَبَّبَ في وَفاتِهِ .

فَكَّرَ جُون في أَنْ يَتْرُكَ آلمَنْزِلَ آلَّذي كانَ يَوْمًا مِلْكًا لِعَمِّهِ إلْياس ثُمَّ لِوالِدِهِ . لِماذا لا يَبيعُهُ وَ يَذْهَبُ لِيَعيشَ في أَيِّ مَكانٍ بَعيدٍ ، وَ يَهْرُبَ مِنَ آلمَصيرِ آلمُخيفِ آلَّذي أَخَذَ يَقْتَرِبُ مِنْهُ بِبُطْءٍ ؟!

قالَ جُون لِنَفْسِهِ : « لا أَظُنُّ أَنَّ آلهَرَبَ مُمْكِنٌ . إنَّ كُلَّ ما حَدَثَ سَبَبُهُ شَيْءٌ ما فَعَلَهُ عَمّي إلْياس أَثْناءَ حَياتِهِ ، وَ هٰذا مَصْدَرُ آلخَطَرِ آلَّذي سَيُلاحِقُني أَيْنَما كُنْتُ في هٰذا آلبَيْتِ أَوْ في غَيْرِهِ . »



لِـذٰلِكَ واصَلَ ٱلعَيْشَ في نَفْسِ ٱلمَنْزِلِ مُدَّةً بَلَغَتْ حَوالَى ثَلاثَةِ أَعْوامٍ . كانَ سَعيدًا حَقًّا ، وَ كانَ يَنْسى في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ كُلَّ ما يَتَعَلَّقُ بِالطَّريقَةِ ٱلغَريبَةِ ٱلَّتي ماتَ بِها عَمُّهُ وَ أَبوهُ . وَ كانَ يَظُنُّ أَحْيانًا أَنَّ ٱللَّعْنَةَ ٱلَّتي حَلَّتْ بِالعائِلَةِ قَدِ ٱنْتَهَتْ .

لٰـكِنَّهُ كانَ مُخْطِئًا . فَذاتَ صَباحٍ ، فَتَحَ خِطابًا ، فَسَقَطَتْ مِنْهُ خَمْسُ حَبّاتٍ مِنْ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ . اِرْتَمى جُون عَلى مَقْعَدٍ ، وَ شَرَدَ بِفِكْرِهِ لَحَظاتٍ ، ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ ٱلآنَ أَنْ أَذْهَبَ إِلى رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ . يَجِبُ ٱتِّخاذُ إِجْراءٍ هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ . » ثُمَّ طَرَأَتْ لَهُ فِكْرَةٌ أَفْضَلُ : لَقَدْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ سَمِعَ صَديقًا يَتَحَدَّثُ عَنْ مُخْبِرٍ سِرِّيٍّ بارِعٍ في عَمَلِهِ ، لَمْ يَفْشَلْ أَبَدًا في ٱلكَشْفِ عَنِ ٱلمُجْرِمينَ .

في ٱلحالِ ، ذَهَبَ جُون إلى صَديقِهِ ، وَحَدَّثَهُ في أَمْرِ ٱلمُخْبِرِ ٱلسِّرِّيِّ ٱلبارِعِ . قالَ لَهُ ٱلصَّديقُ : « أَنْتَ تَقْصِدُ شِرْلُوك هُولمْز ! »

وَنَظَرَ إلى جُون بِفُضولٍ ، لٰكِنَّ جُون لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَما إنْ أَخَذَ جُون عُنوانَ ٱلمُخْبِرِ ، حَتَّى ٱنْطَلَقَ إلى لَنْدَن بِأَقْصى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ .

— ٦ —

كانَ شِرْلُوك هُولمْز وَٱلدُّكتور واطْسُن يَقْضِيانِ أُمْسِيَّةً هادِئَةً مَعًا ، عِنْدَما دَقَّ جَرَسُ ٱلبابِ .

تَساءَلَ واطْسُن : « أَهٰذا جَرَسُ ٱلبابِ ؟ مَنْ ذا ٱلَّذي يَأْتي لِزِيارَتِكَ في مِثْلِ هٰذا ٱلوَقْتِ ٱلمُتَأَخِّرِ يا هُولمْز ؟ لَعَلَّهُ أَحَدُ أَصْدِقائِكَ ؟ »

قالَ هُولمْز : « لَيْسَ لي أَصْدِقاءُ غَيْرُكَ . »

« إذًا فَهُوَ شَخْصٌ يَطْلُبُ مَعُونَتَكَ . »

« إذا كانَ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ ، وَفي مِثْلِ هٰذا ٱلوَقْتِ ٱلمُتَأَخِّرِ مِنَ ٱللَّيْلِ ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ أَمْرًا خَطيرًا . »

مَدَّ هُولمْز ذِراعَهُ لِيُديرَ ٱلمِصْباحَ بَعيدًا عَنْهُ ، فَسَقَطَ ضَوْؤُهُ على ٱلمَقْعَدِ ٱلَّذي سَيَجْلِسُ عَلَيْهِ ٱلقادِمُ ٱلجَديدُ . ثُمَّ قامَ وَفَتَحَ ٱلبابَ ، وَقالَ : « تَفَضَّلْ بِالدُّخولِ . » وَدَخَلَ جُون .

نَظَرَ هُولمْز وَ واطْسُن إلى ٱلضَّيْف . إنَّهُ شابٌّ وَسيمٌ ، في حَوالَى ٱلثَّانِيَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ . وَجْهُهُ شاحِبٌ وَ عَيْناهُ مُتْعَبَتانِ ، كَعَيْنَيْ رَجُلٍ ٱمْتَلأَتْ نَفْسُهُ بِقَلَقٍ شَديدٍ .

نَظَرَ جُون حَوْلَهُ في ٱضْطِرابٍ قائِلًا : « أَرْجو ٱلمَعْذِرَةَ إذا كُنْتُ قَدْ جِئْتُ في ساعةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ ٱللَّيْلِ . »

« هَلْ أَتَيْتَ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ ؟ »

« نَعَمْ ! مِنْ هُورْشام . لَقَدْ جِئْتُ أَطْلُبُ ٱلنَّصيحَةَ . »

« مِنَ ٱلسَّهْلِ أَنْ تَحْصُلَ عَلَيْها . »

« وَ ٱلمُساعَدَةَ . »

« آهٍ ، هٰذِهِ لَيْسَتْ سَهْلَةً دائِمًا . »

« لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ يا مِسْتَر هُولمْز ، وَ قَدْ أَرْسَلَني صَديقٌ إلَيْكَ . قالَ إنَّكَ لا تَفْشَلُ أَبَدًا . »

« لَقَدْ بالَغَ كَثيرًا . »

« .. وَ إنَّكَ لَمْ تُواجِهِ ٱلهَزيمةَ أَبَدًا . »

« لَقَدْ واجَهْتُ ٱلهَزيمَةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مَعَ رِجالٍ ، وَ مَرَّةً مَعَ ٱمْرَأَةٍ . »

« لٰكِنْ هُناكَ مِئاتٌ مِنَ ٱلانْتِصاراتِ . »

« نَعَمْ .. ٱلواقِعُ أَنَّني أَنْجَحُ في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ . »

« إِذًا أَرْجو أَنْ تَنْجَحَ مَعي . »

قالَ هُولمْز : « أَرْجو أَنْ تَقْتَرِبَ بِمَقْعَدِكَ مِنَ ٱلمِدْفَأَةِ ، وَ أَنْ تُخْبِرَني بِكُلِّ شَيْءٍ . »

قالَ جُون : « إِنَّها قَضِيَّةٌ غَيْرُ عادِيَّةٍ . »

« أَنا لا تَأْتيني قَضِيَّةٌ عادِيَّةٌ ، فَٱلنَّاسُ لا يَجيئُونَ إِلَّا آخِرَ ٱلأَمْرِ ، بَلْ حَتَّى رُبَّما بَعْدَ أَنْ يَفْشَلَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ . وَ ٱلآنَ ، أَخْبِرْني بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَ بَعْدَئِذٍ سَأَسْأَلُكَ عَنِ ٱلأَشْياءِ ٱلَّتي تَبْدو لي عَلى جانِبٍ كَبيرٍ مِنَ ٱلأَهَمِّيَّةِ . »

– ٧ –

قَصَّ عَلَيْهِ جُون ٱلقِصَّةَ مُنْذُ ٱلبِدايَةِ . أَخْبَرَهُ عَنْ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ وَ خِطاباتِ ٱلأَحْرُفِ « ك . ك . ك . » ٱلغَريبةِ ، وَ عَنْ ظُروفِ مَوْتِ والِدِهِ وَ عَمِّهِ .. أَخْبَرَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ ٱلخِطابَ ٱلَّذي وَصَلَهُ في نَفْسِ ٱليَوْمِ ، وَ وَضَعَهُ مَعَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ عَلى ٱلمائِدَةِ أَمامَ هُولمْز .

قالَ : « سَتَرى أَنَّ خاتَمَ ٱلبَريدِ مِنْ لَنْدَن . وَ خاتَمُ ٱلبَريدِ ٱلَّذي جاءَ لِوالِدي مِنْ دَنْدِي باسكُتْلَنْدا ، وَ ٱلَّذي جاءَ لِعَمِّي كانَ مِنْ بونْدشِيري بِالهِنْدِ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « ماذا فَعَلْتَ ؟ »

« لا شَيْءَ . »

«لاشَيْءَ !!»

قالَ جُون : «إنَّني في آلحَقيقَةِ أَشْعُرُ بالعَجْزِ ، فَهُناكَ شَرٌّ يَقْتَرِبُ مِنّي وَلا أَجِدُ وَسيلَةً لِدَفْعِهِ عَنّي . لَقَدْ أَصابَتْني آللَّعْنَةُ .» ثُمَّ مالَ بِرَأْسِهِ ، وَوَضَعَ وَجْهَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ آلنَّحيلَتَيْنِ آلبَيْضاوَيْنِ .

صاحَ شِرْلُوك هُولمْز : «لاتَفْعَلْ هٰـذا .. يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ كَالرِّجالِ .. لاتَيْأَسْ .»

هَزَّ جُون رَأْسَهُ قائلًا : «أَنْتَ لاتَفْهَمُ آلأَمْرَ .»

جَلَسَ شِرْلُوك هُولمْز ساكِنًا لَحَظاتٍ ، ثُمَّ سَأَلَهُ : «لِماذا لَمْ تَأْتِني فَوْرًا ؟ كانَ يَجِبُ أَنْ تَحْضُرَ مُنْذُ آلبِدايَةِ . وَمَعَ هٰـذا .. هَلْ لَدَيْكَ آلآنَ أَيَّةُ أَوْراقٍ مِنْ أَوْراقِ عَمِّكَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ ذاتَ فائدَةٍ ؟»

قالَ جُون : «هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ .» ثُمَّ عَرَضَ عَلى هُولمْز وَرَقَةً آحْتَرَقَتْ أَطْرافُها ، وَقالَ : «وَجَدْتُ هٰـذِهِ آلوَرَقَةَ في غُرْفَةِ عَمّي . إنَّها بِخَطِّهِ هُوَ .»

حَرَّكَ هُولمْز آلمِصْباحَ ، وَمالَ هُوَ وَواطْسُن عَلى آلوَرَقَةِ . كانَتْ مُؤَرَّخةً في مارِس (آذارَ) عامَ ١٨٦٩ ، وَكُتِبَ تَحْتَ آلتّاريخ :

رابِعًا : أَتى دَوْرُ هَدْسون .

خامِسًا : أُرْسِلَتِ آلبُذورُ إلى بارَامُور وَسْوِيْن .

تاسِعًا : آلتَّخَلُّصُ مِنْ بارامُور .

عاشِرًا : تَمَّتْ زِيارةُ سْوِيْن .

تَمَّ بِنَجاحٍ .

قالَ هُولمْز وَ هُوَ يُعيدُ ٱلوَرَقَةَ إلى جُون : « شُكْرًا لَكَ . لَيْسَ لَدَيْنا ٱلآنَ وَقْتٌ لِلْحَديثِ فيما أَخْبَرْتَني بِهِ . وَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعودَ فَوْرًا إلى مَنْزِلِكَ ، وَ تَتَصَرَّفَ . »

« ماذا أَفْعَلُ ؟ »

« هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ في ٱلحالِ . يَجِبُ أَنْ تَضَعَ هٰذِهِ ٱلوَرَقَةَ ٱلَّتي عَرَضْتَها عَلَيْنا داخِلَ ٱلصُّنْدوقِ ٱلأَسْوَدِ ، وَ تَضَعَ مَعَها مُذَكِّرَةً تَقولُ فيها إنَّ عَمَّكَ قَدْ أَحْرَقَ كُلَّ ٱلأَوْراقِ ٱلأُخْرى . ثُمَّ ضَعِ ٱلصُّنْدوقَ عَلى ٱلمَقْعَدِ ٱلحَجَرِيِّ . هَلْ فَهِمْتَ ؟ »

« نَعَمْ .. نَعَمْ . »

« يَجِبُ أَوَّلًا أَنْ نُبْعِدَ ٱلخَطَرَ ٱلمُحيطَ بِكَ ، وَبَعْدَئِذٍ نَكْشِفُ ٱلغُموضَ ، وَ نَقْبِضُ عَلى ٱلجُناةِ . »

قالَ جُون : « أَشْكُرُكَ .. لَقَدْ مَنَحْتَني حَياةً وَ أَمَلًا جَديدَيْنِ . وَ سَأُنَفِّذُ بِالتَّأْكيدِ ما نَصَحْتَني بِهِ . »

« لا تُضَيِّعْ أَيَّ وَقْتٍ . كُنْ حَريصًا . أَنا واثِقٌ أَنَّكَ مُعَرَّضٌ لِخَطَرٍ حَقيقِيٍّ . كَيْفَ سَتَعودُ إلى مَنْزِلِكَ ؟ »

« بِالقِطارِ مِنْ مَحَطَّةِ وُوتَرْلُو . »

« اِحْرِصْ عَلى نَفْسِكَ جَيِّدًا . »

« إنَّني مُسَلَّحٌ . »

« أحْسَنْتَ .. سَأَبْدَأُ ٱلعَمَلَ غَدًا في قَضِيَّتِكَ . »

قالَ جُون : « سَأَراكَ إذًا في هُورْشام . »

« لا ! سِرُّ مَوْضوعِكَ يَكْمُنُ في لَنْدَن ، وَ سَأَبْحَثُ عَنْهُ هُنا . »

« إذًا سَأُعَرِّجُ عَلَيْكَ خِلالَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، لِأُخْبِرَكَ عَمَّا يَجِدُّ بِالنِّسْبَةِ لِلصُّنْدُوقِ وَ ٱلأَوْراقِ . وَ ٱلآنَ إلى ٱللِّقاءِ . »

وَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ جُون ، جَلَسَ شِرْلُوك هُولمْز صامِتًا بَعْضَ ٱلوَقْتِ ، وَقَدْ أَحْنَى رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ يَتَطَلَّعُ إلى ٱلمِدْفأَةِ ، ثُمَّ أَشْعَلَ غَلْيونَهُ .

— ٨ —

قالَ هُولمْز أَخيرًا : « أَعْتَقِدُ يا واطْسُن أَنَّ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ أَكْثَرُ تَعْقيدًا مِنْ أَيِّ قَضِيَّةٍ تَصَدَّيْنا لَها مِنْ قَبْلُ . »

قالَ واطْسُن : « نَعَمْ ..هٰذا صَحيحٌ . وَيَبْدو أَنَّ جُون تُحيطُ بِهِ أَخْطارٌ شَديدَةٌ ، وَمَعَ ذٰلِكَ لا نَسْتَطيعُ أَنْ نُحَدِّدَ هٰذِهِ ٱلأَخْطارَ : ما هٰذِهِ آلـ (ك. ك. ك.) وَلِماذا تُطارِدُ هٰذِهِ ٱلعائلةَ ٱلتَّعِسةَ ؟! »

قالَ هُولمْز : « يُمْكِنُنا أَوَّلًا أَنْ نَسْتَنْتِجَ أَنَّ إلْياس أُوبِنْشو كانَتْ لَدَيْهِ أَسْبابٌ قَوِيَّةٌ حَمَلَتْهُ عَلى مُغادَرةِ أَمريكا . إنَّ ٱلرِّجالَ في مِثْلِ عُمْرِهِ لا يُغَيِّرونَ أُسلوبَهُمْ في ٱلحَياةِ ، ولا يَتْرُكونَ بِٱختيارِهِمْ جَوَّ فْلُورِيدا ٱلدَّافِئَ ، لِيَعيشوا في مَدينَةٍ إنجِليزِيَّةٍ . »

قالَ واطْسُن : « تَدُلُّ رَغْبَتُهُ في أنْ يَعيشَ حَياةً مُنْعَزِلَةً في إنجِلْتِرا ، عَلى أَنَّهُ كانَ يَخْشى شَخْصًا أَوْ شَيْئًا ما . »

« هَلِ ٱسترْعى ٱنتِباهَكَ ٱختِلافُ أَخْتامِ ٱلبَريدِ عَلى تِلْكَ ٱلخِطاباتِ ٱلَّتي ذَكَرَها لَنا جُون ؟ »

أَجابَ واطْسُن : « قالَ جُون إنَّ ٱلأَوَّلَ كانَ مِنْ بُونْدشِيري ، وَٱلثّانِيَ مِنْ دَنْدِي ، وَٱلثّالِثَ مِنْ لَنْدَن . »

« ماذا تَسْتَنْتِجُ مِنْ هٰذا ؟ »

« جَميعُها موانِئُ بَحْرِيَّةٌ . وَمِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنَّ كاتِبَ تِلْكَ ٱلخِطاباتِ كانَ عَلى ظَهْرِ سَفينةٍ . »

« رائِعٌ يا عَزيزي واطْسُن . هٰذِهِ بِدايَةٌ طَيِّبَةٌ ! إنَّ ٱلخِطابَ ٱلَّذي جاءَ مِنْ بُونْدشِيري تَسَلَّمَهُ إلْياس قَبْلَ قَتْلِهِ بِسَبْعَةِ أَسابيعَ ، وَٱلَّذي جاءَ مِنْ دَنْدِي وَصَلَ قَبْلَ قَتْلِ والِدِ جُون بِثَلاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ . فَماذا تَسْتَنْتِجُ مِنْ هٰذا ؟ »

« لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَسْتَنْتِجَ شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلنّاحِيَةِ . »

« أَظُنُّ أَنَّ تَفْسيرَ هٰذِهِ ٱلمَسْأَلَةِ هُوَ أَنَّ ٱلخِطاباتِ وَصَلَتْ بِسَفينةٍ تِجارِيَّةٍ ، لٰكِنَّ ٱلقاتِلَ وَصَلَ عَلى سَفينةٍ شِراعِيَّةٍ يَسْتَغْرِقُ وُصولُها وَقْتًا أَطْوَلَ . »

قالَ واطْسُن : « هٰذا مُمْكِنٌ . »

قالَ هُولمْز : « بَلْ هٰذا هُوَ ٱلأَرْجَحُ ، لِذٰلِكَ تَسْتَطيعُ ٱلآنَ أَنْ تُدْرِكَ ٱلخَطَرَ

ٱلَّذي يَتَعَرَّضُ لَهُ جُون أُوبِنْشو – لَقَدْ تَمَّ إرسالُ هٰذا ٱلخِطابِ إلَيْهِ مِنْ لَنْدَن ، وَمَعْنى هٰذا أَنَّ ٱلوَقْتَ لا يَحْتَمِلُ ٱلتَّأْخيرَ . »

صاحَ واطْسُن : « ما مَعْنى هٰذِهِ ٱلجَرائِمِ ٱلَّتي لا نِهايَةَ لَها ؟ »

« الأَوْراقُ ٱلَّتي كانَتْ في حَوْزَةِ إلْياس أُوبِنْشو لَها أَهَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ عِنْدَ ٱلشَّخْصِ أَوِ ٱلأَشْخاصِ ٱلَّذينَ أَتَوْا عَلى ظَهْرِ ٱلسَّفينةِ ٱلشِّراعِيَّةِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّ هُناكَ شَخْصَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ، وَأَنَّهُمْ مُصَمِّمونَ عَلى ٱسْتِرْدادِ تِلْكَ ٱلأَوْراقِ . »

« قَدْ تُشيرُ إذًا ٱلأَحْرُفُ (ك. ك. ك.) إلى أَكْثَرَ مِنْ شَخْصٍ واحِدٍ ؟ »

مالَ شِرْلوك هُولمْز إلى ٱلأَمامِ قائِلًا بِصَوْتٍ خَفيضٍ : « أَلَمْ تَسْمَعْ أَبَدًا عَنْ كُو كْلُوكْس كْلان ؟ »

« لا ، لَمْ أَسْمَعْ عَنْها . »

« لَقَدْ نَشَأَتْ في أَمريكا بَعْدَ ٱلحَرْبِ ٱلأَهْلِيَّةِ . كانَتْ عِصابةً مِنَ ٱلأَشْرارِ أَخَذَتْ تَقْتُلُ ٱلنَّاسَ وَتُهَدِّدُ أَيَّ شَخْصٍ لا يُنَفِّذُ ما تَطْلُبُهُ . كانَتْ عِصابةُ ٱلكُو كْلُوكْس كْلان تُرْسِلُ تَحْذيرًا لِمَنْ تُنْزِلُ بِهِ نِقْمَتَها ، فَلا يَعْرِفُ ٱلأَمانَ بَعْدَ ذٰلِكَ في أَيِّ مَكانٍ ، وَيُصْبِحُ مَوْتُهُ مُؤَكَّدًا . وَكانَتْ أَساليبُ عَمَلِهِمْ دَقيقةً جِدًّا ، حَتَّى ظَهَرَ كَأَنَّهُمْ يَنْجَحونَ دائِمًا في أَعْمالِهِمِ ٱلفَظيعَةِ . وَلَمْ تَسْتَطِعِ ٱلحُكومةُ ٱلأَمْريكِيَّةُ أَنْ تَقْضِيَ عَلى هٰذِهِ ٱلعِصابةِ حَتَّى عامِ ١٨٦٩ . »

قالَ واطْسُن : « فَهِمْتُ .. إنَّ عامَ ١٨٦٩ هو ٱلعامُ ٱلسَّابِقُ لِعَوْدةِ إلْياس

أُوبِنْشو إلى إنجلترا ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكونَ هٰذِهِ ٱلأَوْراقُ ، ٱلَّتي أَحْضَرَها مَعَهُ في ٱلصُّنْدوقِ ٱلأَسْوَدِ ، أَوْراقًا هامَّةً تَتَعَلَّقُ بِهٰذِهِ ٱلعِصابَةِ ، وَتَكونُ مَبْعَثَ خَوْفٍ هائِلٍ لِأَفْرادِها . إِنَّ قِطْعَةَ ٱلوَرَقِ ٱلمُحْتَرِقَةَ ٱلَّتي رَأَيْنا فيها ٱلتَّواريخَ وَٱلأَسْماءَ ٱلمُتَعَلِّقَةَ بِالأَوْقاتِ وَٱلأَماكِنِ ٱلَّتي أُرْسِلَتْ بُذورُ ٱلبُرْتُقالِ إِلَيْها تُشَكِّلُ خَطَرًا داهِمًا عَلى ٱلشَّخْصِ ٱلَّذي يَحْتَفِظُ بِها . »

قالَ هُولمْز : « لَنْ نَسْتَطيعَ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا ٱللَّيْلَةَ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ فُرْصَةَ جُون ٱلوَحيدَةَ لِلنَّجاةِ هِيَ أَنْ يَعْمَلَ ما طَلَبْتُهُ مِنْهُ . »



كانَتِ ٱلشَّمْسُ ساطِعَةً في صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي ، وَكانَ شِرْلُوك هُولمْز يَتَناوَلُ إفْطارَهُ عِنْدَما ٱنْضَمَّ إلَيْهِ واطْسُن .

بَيْنَما كانَ واطْسُن يَنْتَظِرُ إفْطارَهُ ، ٱلتَقَطَ ٱلصَّحيفَةَ ٱلمَطْوِيَّةَ مِنْ فَوْقِ ٱلمائِدَةِ . وَما إنْ فَتَحَها حَتَّى صاحَ : « هُولمْز ! لَقَدْ تَأَخَّرْنا كَثيرًا ! »

قالَ هُولمْز : « هٰذا ما كُنْتُ أَخْشاهُ ! كَيْفَ حَدَثَ هٰذا ؟ »

كانَ يَتَحَدَّثُ بِهُدوءٍ ، لٰكِنَّ واطْسُن ٱستَطاعَ أَنْ يُدْرِكَ مَدى أَلَمِهِ . نَظَرَ واطْسُن في ٱلصَّحيفَةِ ، وَقَرَأَ هٰذا ٱلخَبَرَ : « سَمِعَ أَحَدُ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ أَثْناءَ قِيامِهِ بِعَمَلِهِ بِالقُرْبِ مِنْ جِسْرِ وُوتَرْلُو صَرْخَةَ ٱستِغاثَةٍ ، ثُمَّ صَوْتَ سُقوطِ شَخْصٍ في ٱلنَّهْرِ . وَأَطْلَقَ الشُّرْطِيُّ صَفّارَتَهُ ، وَتَجَمَّعَ النّاسُ لِيُقَدِّموا مَعونَتَهُمْ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطيعوا أَنْ يَفْعَلوا شَيْئًا . وَتَمَّ إخراجُ ٱلجُثَّةِ مِنَ ٱلنَّهْرِ ، وَوَجَدوا في جَيْبِ ٱلغَريقِ خِطابًا ٱتَّضَحَ مِنْهُ أَنَّ ٱسمَهُ أُوبِنْشو . »

نَظَرَ واطْسُن إلى هُولمْز ، وَسادَ ٱلصَّمْتُ لَحْظَةً قالَ هُولمْز بَعْدَها : « كَمْ يُؤْلِمُني هٰذا يا واطْسُن ! يُؤْلِمُني حَقًّا ! لَقَدْ جاءَ هٰذا ٱلشّابُّ يَطْلُبُ مُساعَدَتي فَأَرْسَلْتُهُ إلى حَتْفِهِ . إنَّني بِإذْنِ ٱللهِ سَأَقْضي عَلى هٰؤُلاءِ ٱلقَتَلَةِ ؛ سَأَقْضي عَلَيْهِمْ حَتَّى لَوِ ٱقتَضى ٱلأَمْرُ قَتْلَهُمْ بِيَدَيَّ هاتَيْنِ . »

وَقَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ ، وَأَخَذَ يَتَمَشَّى في ٱلغُرْفَةِ ذَهابًا وَإيابًا ، وَقَدِ ٱحمَرَّ وَجْهُهُ . قالَ : « لا بُدَّ أَنَّهُمْ جَماعَةٌ مِنَ ٱلشَّياطينِ ! حَسَنًا يا واطْسُن ! سَنَرى مَنِ ٱلَّذي سَيَنْتَصِرُ أَخيرًا . سَأَخْرُجُ ٱلآنَ . »

لَمْ يَرَ واطْسُن هُولمْز مَرَّةً أُخرى إلَّا في ٱلمَساءِ .

عِنْدَما دَخَلَ هُولمْز ، تَناوَلَ بُرْتُقالةً ، وَقَطَّعَها عِدَّةَ قِطَعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ بُذورَها ، وَوَضَعَها فَوْقَ ٱلمائدةِ ، ثُمَّ وَضَعَ خَمْسًا مِنْ تِلْكَ ٱلبُذورِ في مَظْروفٍ وَأَغْلَقَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِ ٱلعُنوانَ ٱلتَّالي :

الرُّبَّانُ جِيمْس كالْهون

السَّفينَةُ ٱلشِّراعِيَّةُ « النَّجْمةُ ٱلوَحيدةُ »

سافَـانَّاه

جُورْجِيا

أمريكا

وَقالَ : « سَيَبْقى هٰذا ٱلخِطابُ في ٱنتِظارِهِ حَتَّى يَصِلَ ، وَقَدْ يَصِلُهُ في لَيْلَةٍ يَطيرُ فيها ٱلنَّوْمُ مِنْ عَيْنَيْهِ . »

سَأَلَ واطْسُن : « مَنْ هُوَ هٰذا ٱلرُّبَّانُ ؟ »

« إِنَّهُ زَعيمُ هٰؤلاءِ ٱلشَّياطينِ ، وَسَأَقْضي عَلى بَقيَّةِ أَفْرادِ ٱلعِصابةِ أَيْضًا ، لٰكِنَّهُ سَيَكونُ أَوَّلَهُمْ . لَقَدْ أَمْضَيْتُ ٱليَوْمَ كُلَّهُ في ميناءِ لَنْدَن ، أَفْحَصُ سِجِلَّاتِ ٱلسُّفُنِ ٱلَّتي كانَتْ في بُونْد شِيري في ٱلتَّاريخِ ٱلَّذي تَمَّ فيه إرْسالُ أَوَّلِ خِطابٍ ، وَقَدْ عَثَرْتُ عَلى ٱلنَّجْمةِ ٱلوَحيدَةِ ٱلَّتي جاءَتْ مِنْ أمريكا . ثُمَّ فَحَصْتُ

سِجِلَّاتِ ٱلسُّفُنِ ٱلَّتي كانَتْ في دَنْدِي ، فَوَجَدْتُ أَيْضًا (ٱلنَّجْمَةَ ٱلوَحيدَةَ) في ٱلتَّاريخِ ٱلَّذي تَوَقَّعْتُهُ . وَأَخيرًا وَجَدْتُ أَنَّ (ٱلنَّجْمَةَ ٱلوَحيدَةَ) قَدْ وَصَلَتْ ميناءَ لَنْدَن ٱلأُسْبوعَ ٱلماضِيَ ، لٰكِنَّها أَبْحَرَتْ إلى ساڤـانَّاه هٰذا ٱلصَّباحَ . »

« وَماذا تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ إذًا ؟ »

« إنَّني أُراقِبُهُمْ ، فهُناكَ ثَلاثَةُ رِجالٍ أَمْريكِيِّينَ يُسافِرونَ عَلى ظَهْرِ ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ . وَقَدْ عَرَفْتُ أَيْضًا أَنَّهُمْ ثَلاثَتَهُمْ لَمْ يَكونوا عَلى ظَهْرِها ٱللَّيْلَةَ ٱلماضيةَ . إنَّهُمُ ٱلقَتَلَةُ .

« عِنْدَما يَصِلونَ إلى ميناءِ ساڤـانَّاه ، سَتَكونُ سَفينَةُ ٱلبَريدِ قَدْ حَمَلَتْ هٰذا ٱلخِطابَ إلى هُناكَ ، لِأَنَّها أَسْرَعُ مِنَ ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدةِ ، ٱلشِّراعِيَّةِ . وَسَأُرْسِلُ رِسالةً إلى رِجالِ ٱلشُّرْطةِ في ساڤـانَّاه بِأَنَّ هٰؤلاءِ ٱلرِّجالَ ٱلثَّلاثَةَ مَطْلوبونَ هُنا لِاتِّهامِهِمْ في جَرائِمِ قَتْلٍ . »

مِسْكينٌ شِرْلُوك هُولمْز ! لَقَدِ ٱنْتَهَتْ كُلُّ خُطَطِهِ إلى لا شَيْءَ ، وَلَمْ يَتَسَلَّمْ قَتَلَةُ جون أُوبِنْشو بُذورَ ٱلبُرْتُقالِ ٱلَّتي أَرْسَلَها في ٱلخِطابِ .

لَقَدِ ٱنتَظَرَ هوَ وَواطْسُن وَقْتًا طَويلًا لِيَسْمَعا أَخبارَ ، ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ ، في ساڤـانَّاه ، لٰكِنْ لَمْ يَصِلْ إلَيْهِما أَيُّ خَبَرٍ .

أَخيرًا سَمِعا أَنَّهُ في مَكانٍ ما وَسَطَ ٱلمُحيطِ ٱلواسِعِ ، تَمَّ ٱلعُثورُ عَلى قِطْعَةٍ طافِيةٍ مِنَ ٱلخَشَبِ ، مَكْتوبٌ عَلَيْها ٱلحَرْفانِ ... ، ن. و. ، وَهيَ كُلُّ ما أَمْكَنَ أَنْ يَعْرِفَهُ ٱلنَّاسُ عَنْ مَصيرِ تِلْكَ ٱلسَّفينَةِ ، ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ ، وَعَنْ مَصيرِ ٱلرِّجالِ ٱلَّذينَ قَتَلوا ثَلاثَةً مِنْ عائلَةِ أُوبِنْشو .

التَّـــاجُ ٱلماسِيُّ

– ١ –

كانَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر ، مُديرُ بَنْكِ هُولْدَر وَسْتيفِنْسَن ، يَجْلِسُ في غُرْفَةِ مَكْتَبِهِ ، عِنْدَما دَخَلَ أَحَدُ مُوَظَّفي ٱلبَنْكِ لِيُخْبِرَهُ أَنَّ زائِرًا يُريدُ مُقابَلَتَهُ .

دَهِشَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر عِنْدَما سَمِعَ ٱسْمَ ٱلزَّائِرِ . كانَ ٱسْمَ رَجُلٍ مَشْهورٍ جِدًّا ، يَعْرِفُهُ ٱلعالَمُ كُلُّهُ ؛ فَهوَ مِنْ عُظَماءِ إِنْجِلْتِرا وَنُبَلائِها .



قالَ آلسَّيِّدُ هُولْدَر : « أَدْخِلْهُ فَوْرًا . »

كانَ يَبْدو عَلى آلرَّجُلِ آلَّذي دَخَلَ آلغُرْفَةَ أَنَّهُ قَلِقٌ وَفي عَجَلةٍ مِنْ أَمْرِهِ .

قالَ : « يا سَيِّدُ هُولْدَر ، قيلَ لي إِنَّ آلبَنْكَ آعْتادَ أَنْ يُقْرِضَ نُقودًا . »

قالَ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر : « البَنْكُ عَلى آسْتِعْدادٍ لِأَنْ يَفْعَلَ هٰذا دائِمًا مَعَ آلنُّبَلاءِ أَصْحابِ آلمَقامِ آلرَّفيعِ . »

« مِنَ آلضَّروريِّ جِدًّا أَنْ أَحْصُلَ آلآنَ عَلى خَمْسينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ . »

« مَتى تَرُدُّ إِلَيْنا هٰذا آلمَبْلَغَ يا سَيِّدي ؟ »

« قَدْ أَتَمَكَّنُ مِنْ إِعادةِ آلنُّقودِ إِلَيْكَ آلأُسْبوعَ آلقادِمَ ، لٰكِنْ يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى آلخَمْسينَ أَلْفًا آليَوْمَ . »

قالَ هُولْدَر : « هلْ يُمْكِنُ أَنْ تَتْرُكَ شَيْئًا ذا قيمةٍ ، يَحْتَفِظُ بِهِ آلبَنْكُ ، حَتّى تَرُدَّ آلنُّقودَ ؟ »

« نَعَمْ . لَقَدْ تَوَقَّعْتُ أَنْ يُطْلَبَ مِنّي هٰذا . لَعَلَّكَ قَدْ سَمِعْتَ عَنِ آلتّاجِ آلماسِيِّ ؟ »

« إِنَّهُ واحِدٌ مِنْ أَثْمَنِ آلمُمْتَلَكاتِ آلعامَّةِ في هٰذا آلبَلَدِ . طَبْعًا سَمِعْتُ عَنْهُ ! »

فَتَحَ آلزّائِرُ آلحَقيبةَ آلَّتي كانَ يَحْمِلُها . كانَتْ بِداخِلِها أَجْمَلُ قِطْعَةِ مُجَوْهَراتٍ .

«تُوجَدُ في هٰذا ٱلتَّاجِ تِسْعٌ وَثَلاثونَ ماسةً ضَخْمَةً . أَمَّا ٱلذَّهَبُ ٱلَّذي ثُبِّتَ فيهِ ٱلماسُ ، فَهُوَ أَثْمَنُ مِنْ أَنْ يُقَدَّرَ بِثَمَنٍ . إِنَّ هٰذا ٱلتَّاجَ يُساوي ضِعْفَ ٱلمَبْلَغِ ٱلَّذي أَطْلُبُ ٱقْتِراضَهُ ، وَسَأَتْرُكُهُ لَكُمْ .»

تَناوَلَ هُولْدَر ٱلتَّاجَ ، ثُمَّ نَظَرَ في شَكٍّ إِلى ٱلزَّائِرِ .

قالَ ٱلزَّائِرُ : «هَلْ تَظُنُّ أَنَّهُ عَديمُ ٱلقيمَةِ ؟»

«إِطْلاقًا ! أَنا أَشُكُّ فَقَطْ . .»

«لَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّ ٱلتَّاجَ لا يَخُصُّني ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا أُقَدِّمَهُ إِلَيْكَ . حَسَنًا ، مِنَ ٱلمُؤَكَّدِ أَنَّني ما كُنْتُ أَفْعَلُ هٰذا لَوْ لَمْ أَكُنْ عَلى ثِقَةٍ بِأَنَّني أَسْتَطيعُ ٱسْتِرْدادَهُ مِنْكَ خِلالَ أَرْبَعةِ أَيَّامٍ ، عِنْدَما أَرُدُّ إِلَيْكَ ٱلنُّقودَ . كُلُّ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ أَنْ يَظَلَّ ٱلأَمْرُ سِرًّا بَيْنَنا ، وَأَنْ تُحافِظَ جَيِّدًا عَلى هٰذا ٱلتَّاجِ . سَتَحْدُثُ مَتاعِبُ كَبيرةٌ إِذا أَصابَ ٱلتَّاجَ أَيُّ تَلَفٍ .»

ٱسْتَدْعى ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر صَرَّافَ ٱلبَنْكِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَصْرِفَ خَمْسينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ نَقْدًا لِلزَّائِرِ .

عِنْدَما ٱنْصَرَفَ ٱلزَّائِرُ ، نَظَرَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر إِلى ٱلتَّاجِ ، وَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُوافِقْ عَلى ٱلاحْتِفاظِ بِهِ ، لٰكِنْ مَضَى ٱلوَقْتُ ٱلَّذي يَسْتَطيعُ فيهِ أَنْ يُغَيِّرَ رَأْيَهُ ؛ لِذٰلِكَ وَضَعَهُ في حَقيبَةٍ ، وَأَخْفاهُ في مَكانٍ أَمينٍ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ عَمَلِهِ ٱليَوْمِيِّ .

في نِهايَةِ ٱلْيَوْمِ ، وَجَدَ أَلِكْسَنْدَر أَنَّهُ مِنَ ٱلحِكْمَةِ أَلَّا يَتْرُكَ ٱلتَّاجَ في ٱلبَنْكِ ، وَأَنْ يَحْتَفِظَ بِٱلحَقيبةِ مَعَهُ ، حَتَّى تَكونَ في مُتَناوَلِ يَدِهِ في أَيِّ مَكانٍ يَكونُ فيهِ ، إلى أَنْ يَعودَ صاحِبُهُ بِٱلمَبْلَغِ . لِذٰلِكَ عادَ إلى مَنْزِلِهِ في سْتريتام حامِلًا ٱلتَّاجَ ٱلماسيَّ مَعَهُ في ٱلحَقيبَةِ .

عِنْدَما وَصَلَ إلى مَنْزِلِهِ ، أَخَذَ ٱلحَقيبَةَ مَعَهُ إلى غُرْفَتِهِ ٱلخاصَّةِ في ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ ، وَحَفِظَها في مَكانٍ أَمينٍ .

كانَ يَعيشُ مَعَ ٱلسَّيِّدِ هُولْدَر في سْتريتام ٱبْنُهُ آرْثَر ، وَفَتاةٌ في مُقْتَبَلِ ٱلعُمْرِ ٱسْمُها ماري ، هيَ ٱبْنَةُ أَخيهِ ٱلمُتَوَفَّى . وَكانَ هُناكَ خادِمانِ يَبيتانِ في مَنْزِلَيْهِما ، وَثَلاثُ خادِماتٍ يَعْمَلْنَ بِٱلمَنْزِلِ مُنْذُ سَنَواتٍ عَديدَةٍ . إلى جانِبِ خادِمَةٍ جَديدةٍ ٱسْمُها لُوسي پار ، ٱلْتَحَقَتْ بِٱلعَمَلِ مُنْذُ عِدَّةِ أَشْهُرٍ . وَقَدْ أَحْضَرَتْ مَعَها عِنْدَ مَجيئِها خِطاباتِ تَوْصِيَةٍ تُبَيِّنُ أَنَّها ذاتُ شَخْصِيَّةٍ مُمْتازَةٍ ، وَأَنَّها تُؤَدِّي عَمَلَها جَيِّدًا . كانَتْ فَتاةً رائِعَةَ ٱلجَمالِ ، وَقَدْ حَضَرَ أَكْثَرُ مِنْ رَجُلٍ لِمُقابَلَتِها ، لٰكِنْ كانَ يَبْدو أَنَّها فَتاةٌ مُمْتازَةٌ من كافَّةِ ٱلنَّواحي .

كانَ ٱلابْنُ آرْثَر ٱلوَحيدَ مِنْ أَهْلِ ٱلمَنْزِلِ ٱلَّذي يُسَبِّبُ ٱلمَتاعِبَ لِلسَّيِّدِ هُولْدَر .

كانَ هُولْدَر يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : « يَقولُ لِيَ ٱلنَّاسُ إِنَّني أَفْسَدْتُهُ بِتَدْليلي ؛ وَلَعَلَّني فَعَلْتُ هٰذا ، فَعِنْدَما ماتَتْ أُمُّهُ ، ٱسْتَأْثَرَ وَحْدَهُ بِكُلِّ حُبِّي . »

لَقَدْ رَفَضَ آرْثَر أَنْ يَعْمَلَ في بَنْكِ أَبيهِ . لَمْ يَكُنْ يَتَحَمَّلُ ٱلمَسْؤُولِيَّةَ ، وَيَعيشُ مَعَ أَصْدِقائِهِ ٱلأَثْرِياءِ حَياةَ ٱللَّهْوِ وَٱلْمُتْعِةِ ، لا يَشْغَلُهُ سِوى مُشاهَدةِ سِباقِ ٱلخَيْلِ . كانَ أَصْدِقاؤُهُ أَغْنياءَ ، لِذا ٱضْطُرَّ إلى أَنْ يُنْفِقَ مَعَهُمْ مِنَ ٱلنُّقودِ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطيهِ والِدُهُ ، كانَ يَسْتَدينُ دائِمًا . وَكانَ صَديقُهُ ٱلمُفَضَّلُ ، سير جُورْج بيرنْويل ، كَثيرَ ٱلتَّرَدُّدِ عَلَيْهِ في ٱلمَنْزِلِ في سْتْريتام . كانَ هٰذا ٱلصَّديقُ يَبْدو شَخْصًا لَطيفًا ، وَسيمًا ، حَسَنَ ٱلخُلُقِ ، لٰكِنَّ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر لَمْ يَكُنْ يَرْتاحُ إِلَيْهِ .

كانَتْ ماري ، ٱبْنَةُ أَخيهِ ، هيَ ٱلإِنْسانَةَ ٱلوَحيدَةَ ٱلَّتي يَرْتاحُ إِلَيْها في ٱلمَنْزِلِ . كانَتْ جَميلَةً ، رَقيقَةً هادِئَةً ، تَفيضُ عَطْفًا وَحَنانًا . يَقولُ عَنْها دائِمًا : « لَسْتُ أَدْري ماذا كُنْتُ أَفْعَلُ بِدُونِها . » وَكانَ ٱبْنُهُ آرْثَر يُحِبُّها ، وَيَتَمَنَّى ٱلزَّواجَ بِها ؛ لٰكِنَّها رَفَضَتْهُ ، وَكَمْ كانَ والِدُهُ يَرْغَبُ أَيْضًا في زَواجِها بِٱبْنِهِ فَرُبَّما تَتَغَيَّرُ شَخْصِيَّةُ ٱبْنِهِ بَعْدَ أَنْ يَتَزَوَّجَها .

— ٣ —

في ذٰلِكَ ٱلمَساءِ ، جَلَسَتِ ٱلأُسْرَةُ ٱلصَّغيرَةُ في غُرْفَةِ ٱلاسْتِقْبالِ تَتَناوَلُ ٱلقَهْوَةَ ٱلَّتي أَعَدَّتْها وَقَدَّمَتْها لُوسي پار . وَعِنْدَما غادَرَتِ ٱلخادِمَةُ ٱلغُرْفَةَ ، قالَ هُولْدَر : « يا لَهُ مِنْ يَوْمٍ ! لَقَدْ عانَيْتُ فيهِ مِنْ قَلَقٍ شَديدٍ ، وَأَحْضَرْتُ مَعي إلى ٱلمَنْزِلِ واحِدًا مِنْ أَثْمَنِ ٱلتِّيجانِ في ٱلعالَمِ . يَجِبُ أَنْ أَحْرُسَهُ بِعِنايَةٍ حَتَّى ٱلأُسْبوعِ ٱلقادِمِ . إِنَّهُ أَثْمَنُ مِنْ أَنْ أَتْرُكَهُ في ٱلبَنْكِ . »

سَأَلَهُ آرْثَر : «أَيْنَ وَضَعْتَهُ ؟»

«لَقَدْ أَغْلَقْتُ عَلَيْهِ في غُرْفَتي آلخاصَّةِ بِآلطَّابَقِ آلعُلْويِّ .»

قالَ آرْثَر : «حَسَنًا ! أَرْجُو أَلَّا يَسْطُوَ عَلَيْنا آللُّصوصُ آللَّيْلَةَ .»

قالَتْ ماري : «هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَراهُ ؟»

أَجابَ هُولْدَر : «لا ! مِنَ آلأَفْضَلِ عَدَمُ رُؤْيَتِهِ . أُريدُ أَنْ أَتْرُكَهُ حَيْثُ هوَ .»

في تِلْكَ آللَّيْلَةِ ، تَبِعَ آرْثَر أَباهُ حِينَ تَوَجَّهَ إلى غُرْفَتِهِ ، وَقالَ لَهُ : «أَبي ! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُعْطِيَني مِئَتَيْ جُنَيْهٍ ؟»

أَجابَهُ والِدُهُ غاضِبًا : «لا ، لا أَسْتَطيعُ ! لَقَدْ تَساهَلْتُ مَعَكَ إلى أَبْعَدِ آلحُدودِ في آلمَسائِلِ آلمالِيَّةِ .»

قالَ آرْثَر : «لَقَدْ كُنْتَ مُتَساهِلًا مَعي حَقًّا يا أَبي ، لٰكِنْ يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى هٰذا آلمَبْلَغِ ، وَإِلَّا فَلَنْ أَسْتَطيعَ لِقاءَ أَصْدِقائي بَعْدَ آلآنَ .»

«أَظُنُّ أَنَّ هٰذِهِ مَسْأَلَةٌ غَيْرُ مُهِمَّةٍ .»

قالَ آرْثَر : «لٰكِنَّكَ لا تُريدُ أَنْ أَجْلُبَ آلعارَ لاسْمِكَ . يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى آلنُّقودِ ، وَإِذا رَفَضْتَ أَنْ تُعْطِيَني إِيَّاها ، سَأُحاوِلُ آلحُصولَ عَلَيْها مِنْ مَكانٍ آخَرَ .»

صاحَ هُولْدَر : « هٰذِهِ هيَ ٱلمَرَّةُ ٱلثَّالِثَةُ ٱلَّتي تَطْلُبُ فيها نُقودًا في ٱلفَتْرةِ ٱلأخيرةِ ، وَلَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا . »

غادَرَ آرْثَر ٱلغُرْفَةَ دونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمةٍ واحِدةٍ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ قامَ هُولْدَر لِيَمُرَّ بِأَرْجاءِ ٱلمَنْزِلِ ، وَيَتَأَكَّدَ مِنْ إغْلاقِ كُلِّ ٱلأَبْوابِ وَٱلنَّوافِذِ .

عِنْدَما كانَ يَهْبِطُ ٱلسُّلَّمَ ، رَأى ماري عِنْدَ نافِذَةٍ جانِبِيَّةٍ في ٱلبَهْوِ . وَلَمَّا رَأَتْهُ أَغْلَقَتْها بِسُرْعةٍ . وَلاحَظَ هُولْدَر أَنَّها تَبْدو قَلِقَةً بَعْضَ ٱلشَّيْءِ .

قالَتْ : « أَخْبِرْني يا عَمِّي ، هَلْ سَمَحْتَ لِلْخادِمَةِ لُوسي پار بِٱلخُروجِ ٱللَّيْلَةَ ؟ »

« كَلَّا ، لَمْ أَسْمَحْ لَها . »

« لَقَدْ عادَتِ ٱلآنَ . »

« حَسَنًا ، سَأَتَحَدَّثُ إلَيْها في ٱلصَّباحِ . أَواثِقَةٌ أَنْتِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُغْلَقٌ ؟ »

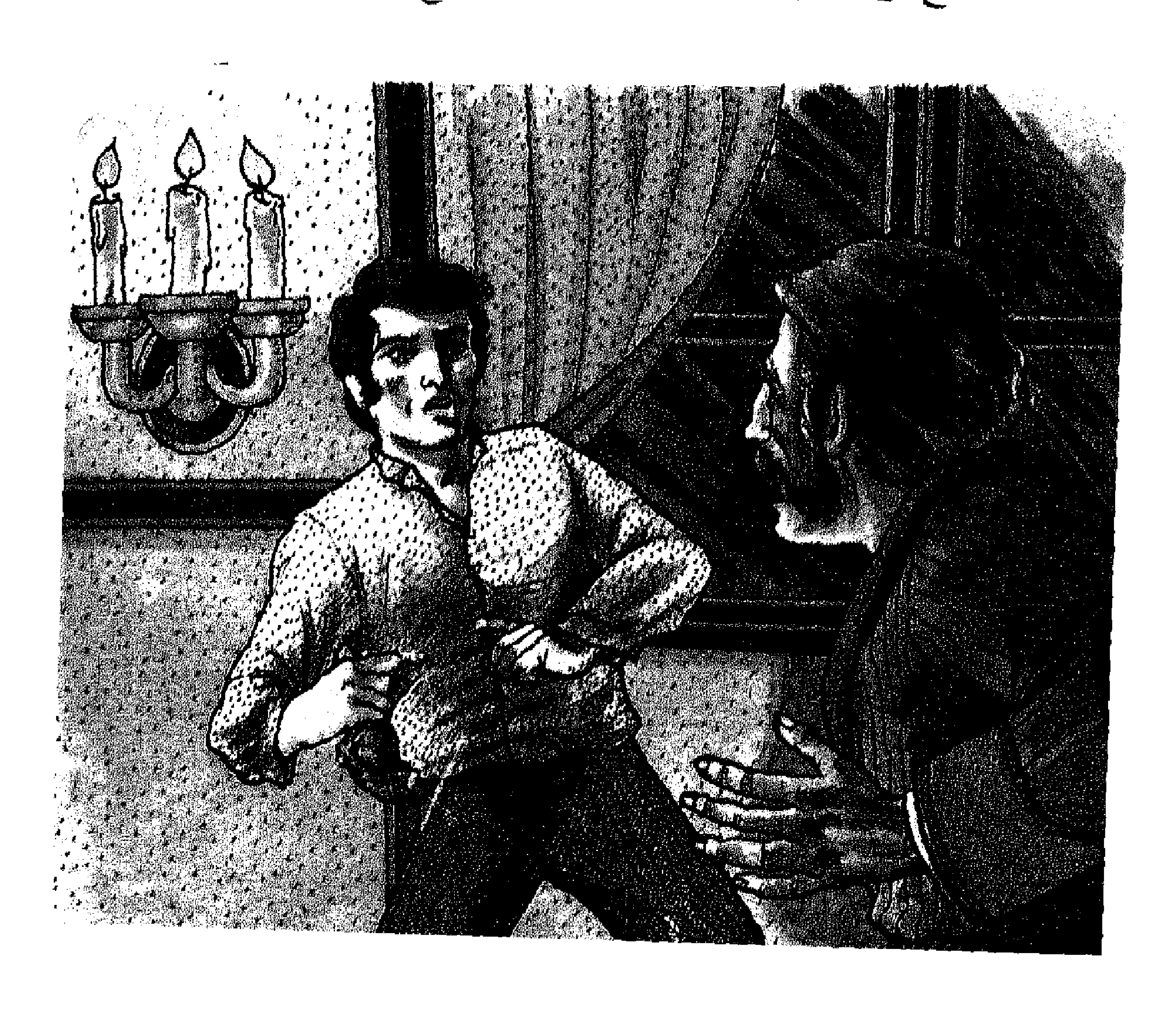
« واثِقَةٌ تَمامًا يا عَمِّي . »

« إذًا ! تُصْبِحينَ عَلى خَيْرٍ . » وَقَبَّلَها ، وَذَهَبَ إلى غُرْفَةِ نَوْمِهِ ، وَسُرْعانَ ما ٱسْتَغْرَقَ في ٱلنَّوْمِ .

اِسْتَيْقَظَ هُولْدر فَجْأَةً في حَوالَى ٱلسَّاعةِ ٱلثَّانِيةِ صَباحًا ، عَلى صَوتِ حَرَكةٍ في ٱلمَنْزِلِ ، فَأَنْصَتَ فَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا . وَظَلَّ مُنْصِتًا ، فَسَمِعَ صَوْتًا خافِتًا ، وَوَقْعَ خُطُواتٍ في غُرْفَتِهِ ٱلخاصَّةِ فَنَهَضَ بِهُدوءٍ ، وَذَهَبَ إلى هُناكَ .

صاحَ هُولْدر : « آرْثَر ! أَيُّها ٱللِّصُّ ! كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلى أَخْذِ ٱلتَّاجِ ؟ »

كانَ آرْثَر يَقِفُ بِجِوارِ مِصْباحٍ وَهو لا يَرْتَدي غَيْرَ قَميصٍ وَسِرْوالٍ ، وَقَدْ أَمْسَكَ ٱلتَّاجَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَأَنَّهُ يُحاوِلُ ثَنْيَهُ . عِنْدَما سَمِعَ كَلِماتِ والِدِهِ ، سَقَطَ



ٱلتَّاجُ مِنْ يَدِهِ عَلى ٱلأَرْضِ . وَشَحَبَ لَوْنُهُ ؛ فَأَسْرَعَ والِدُهُ وَٱلْتَقَطَ ٱلتَّاجَ وَفَحَصَهُ ، فَوَجَدَ أَنَّ أَحَدَ أَطْرافِهِ ٱلذَّهَبِيَّةِ قَدِ ٱخْتَفَى مَعَ ٱلماساتِ ٱلثَّلاثِ ٱلمُثَبَّتَةِ فيهِ .

صاحَ هُولْدَر في ثَوْرَةٍ عارِمَةٍ : « أَيُّها ٱلوَلَدُ ٱلشِّرِّيرُ ، لَقَدْ حَطَّمْتَني ! لَقَدْ أَلْحَقْتَ بيَ ٱلعارَ إلى ٱلأَبَدِ . أَيْنَ ٱلماساتُ ٱلَّتي سَرَقْتَها ؟ »

صاحَ آرْثَر في دَهْشَةٍ : « سَرَقْتُها ؟! »

قالَ هُولْدَر بِصَوْتٍ مُفْعَمٍ بِٱلحُزْنِ : « نَعَمْ ، أَيُّها ٱللِّصُّ ! ابْني يَصْبِحُ لِصًّا ! يا لَلْعارِ ! »

هَمَسَ آرْثَر : « لٰكِنْ لَيْسَ هُناكَ شَيْءٌ ناقِصٌ ! لا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ ناقِصٌ ! »

« إِنَّ ٱلتَّاجَ يَنْقُصُ ثَلاثَ ماساتٍ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَيْنَ تُوجَدُ . هَلْ يَجِبُ أَنْ أُسَمِّيَكَ كاذِبًا كَما سَمَّيْتُكَ لِصًّا ؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ بِنَفْسي تُحاوِلُ ٱنْتِزاعَ ماسَةٍ أُخْرى . »

قالَ آرْثَر : « لَقَدْ وَصَفْتَني يا أَبي بِصِفاتٍ سَيِّئَةٍ ، وَمَعَ هٰذا لَنْ أَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ . سَأُغادِرُ ٱلمَنْزِلَ في ٱلصَّباحِ وَلَنْ تَراني مَرَّةً أُخْرى ؟ »

صاحَ هُولْدَر في جُنُونٍ : « سَتُغادِرُهُ في قَبْضَةِ ٱلشُّرْطَةِ . »

« لَنْ أُجيبَ بِشَيْءٍ . وَإِذا ٱسْتَدْعَيْتَ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ ، فَدَعْهُمْ يَبْحَثُونَ ٱلأَمْرَ بِأَنْفُسِهِمْ . »

أثْناءَ هٰذا ٱلحَديثِ ، كانَ كُلُّ مَنْ بِٱلمَنْزِلِ قَدِ ٱسْتَيْقَظَ بِسَبَبِ ٱلضَّوْضاءِ وَٱلأَصْواتِ ٱلغاضِبِةِ .

كانَتْ ماري أَوَّلَ مَنِ ٱندَفَعَ إلى ٱلغُرْفةِ ، وَعِنْدَما رَأَتِ ٱلتَّاجَ وَوَجْهَ آرْثَر ، فَقَدَتِ ٱلوَعْيَ ، وَسَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ .

أَرْسَلوا في طَلَبِ رِجالِ ٱلشُّرْطةِ فَوْرًا . وَعِنْدَما وَصَلوا قالَ آرْثَر لِوالِدِهِ : « هَلْ تُريدُ أَنْ تَطْلُبَ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطةِ أَنْ يَأْخُذوني مَعَهُمْ ؟ »

« هٰذِهِ مَسْأَلَةٌ عامَّةٌ ؛ فَٱلتَّاجُ مِلْكُ ٱلدَّوْلةِ . لا يُمْكِنُ أَنْ نَحْتَفِظَ بِٱلأَمْرِ وَكَأَنَّهُ مَسْأَلَةٌ عائليَّةٌ . يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ ٱلقانونُ مَجْراهُ . »

قالَ آرْثَر : « اِسْمَحْ لي عَلى ٱلأَقَلِّ أَنْ أُغادِرَ ٱلمَنْزِلَ لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائقَ ، هٰذا سَيُساعِدُنا كُلَّنا . أَرْجوكَ أَنْ تُصَدِّقَني . »

قالَ هُولْدَر : « آهِ ، حَتَّى تَسْتَطيعَ أَنْ تَهْرُبَ أَوْ تُخْفيَ ما سَرَقْتَهُ . أَخْبِرْني أَيْنَ ٱلماساتُ ، فَلا يَزالُ في ٱستِطاعَتي أَنْ أُنقِذَكَ مِنَ ٱلعارِ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ وَٱلتَّاجُ بَيْنَ يَدَيْكَ . أَنْتَ مُذْنِبٌ ! أَخْبِرْني أَيْنَ ٱلماساتُ حَتَّى أَعْفُوَ عَنْكَ ؟ »

« اِحتَفِظْ بِعَفْوِكَ لِمَنْ يَطْلُبُهُ . »

وَوَجَدَ هُولْدَر أَنَّهُ مِنَ ٱلعَسيرِ عَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ ٱبنَهُ هُوَ ٱلَّذي يُخاطِبُهُ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمامَهُ إِلَّا أَنْ يَتْرُكَ رِجالَ ٱلشُّرْطةِ يَقْبِضونَ عَلى آرْثَر .

فَتَّشَ رِجالُ ٱلشُّرْطةِ في ٱلحالِ كُلَّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ ٱلمَنْزِلِ ، كَما فَتَّشوا كُلَّ فَرْدٍ فيهِ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى شَيْءٍ .

قالَ آلضَّابِطُ آلمَسئولُ لِهُولْدَر : « نَصيحَتي إلَيْكَ يا سَيِّدي أَنْ تَلْجأَ إلى شِرْلُوك هُولمْز ، آلَّذي يَسْكُنُ في شارِعِ بيكَر . إنَّهُ مُخْبِرٌ سِرِّيٌّ عَظيمٌ ، وَهٰذِهِ آلقَضيَّةُ مِنَ آلنَّوْعِ آلَّذي طالَما ساعَدَ رِجالَ آلشُّرْطَةِ في كَشْفِ أَسْرارِهِ . »

قالَ هُولْدَر آلمِسْكينُ : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ أَنَّكَ عَلى صَوابٍ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْهُ . إنَّهُ مَشْهورٌ . سَأَتَّصِلُ بِهِ في آلصَّباحِ آلباكِرِ . »

— ٥ —

قُلْتُ وَأنا أَقِفُ أَرْقُبُ آلطَّريقَ : « هُولمْز ! هاهُوَ ذا رَجُلٌ مَجْنونٌ يَتَقَدَّمُ في آلطَّريقِ . كَيْفَ سَمَحوا لَهُ بِآلخُروجِ وَحْدَهُ ؟ »

نَهَضَ صَديقي مُتَكاسِلًا مِنْ مَقْعَدِهِ ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ مِنْ فَوْقِ كَتِفي . كانَ صَباحًا بارِدًا مُشْرِقًا ، وَآلثَّلْجُ آلَّذي تَساقَطَ في آليَوْمِ آلسَّابِقِ يَرْتَفِعُ كَثيفًا فَوْقَ آلأَرْضِ . وَكانَ هُناكَ رَجُلٌ يَقْتَرِبُ وَحْدَهُ في آلطَّريقِ . كانَ رَجُلًا في حَوالَى آلخَمْسينَ مِنْ عُمْرِهِ ، يَرْتَدي مَلابِسَ أَنيقةً غاليةً . لٰكِنَّ تَصَرُّفاتِهِ لَمْ تَكُنْ تُلائِمُ مَظْهَرَهُ . فَقَدْ كانَ يَجْري بِسُرْعةٍ ، وَيُحَرِّكُ ذِراعَيْهِ إلى أَعْلى وَإلى أَسْفَلَ ، وَيَهُزُّ رَأْسَهُ ، وَقَدِ آرْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِهِ تَعْبيراتٌ مَجْنونةٌ .

تَساءَلْتُ : « ما شَأْنُ هٰذا آلرَّجُلِ ؟ »

قالَ هُولمْز وَهُوَ يَفْرُكُ يَدَيْهِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ قادِمٌ إلى هُنا يا عَزيزي واطْسُن . »

« هُنا ؟ »



لَمْ تَمْضِ لَحَظاتٌ ، حَتّى آندَفَعَ آلرَّجُلُ إلى بابِ مَنْزِلِنا ، وَدَقَّ آلجَرَسَ ، فَأَحْدَثَ ضَجَّةً عالِيَةً .

بَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ ، كانَ داخِلَ آلبَيْتِ .

كانَتْ في عَيْنَيْهِ نَظْرَةُ أَسَفٍ وَأَسًى شَديدَيْنِ ، حَتّى إنَّنا أَشْفَقْنا عَلَيْهِ . وَوَقَفَ آلرَّجُلُ لَحَظاتٍ لا يَسْتَطيعُ آلكَلامَ .

أَشارَ إلَيْهِ شِيرْلوك هُولمْز لِيَجْلِسَ عَلى آلمَقْعَدِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَتَحَدَّثُ إلَيْهِ في رِقَّةٍ قائِلًا : «لَقَدْ جِئْتَ لِتُخْبِرَني بِمَوْضوعٍ يَشْغَلُكَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ لَقَدْ جِئْتَ

مُسْرِعًا فَأَرْهَقْتَ نَفْسَكَ . يَجِبُ أَنْ تَسْتَريحَ إلى أَنْ تَهْدَأَ ، وَيُسْعِدُني جِدًّا أَنْ أُساعِدَكَ . »

جَلَسَ ٱلرَّجُلُ . وَبَعْدَ قَليلٍ أَخْرَجَ مِنْديلَهُ وَجَفَّفَ عَرَقَهُ ، ثُمَّ ٱلتَفَتَ إِلَيْنا قائلًا : « لا شَكَّ أَنكما تَظُنّانِ أَنَّني مَجْنونٌ . »

أَجابَهُ هُولمْز : « أَرى أَنَّكَ تُعاني مَتاعِبَ كَبيرَةً . »

« يَعْلَمُ ٱللهُ مَدَى ما أُعاني ! مَتاعِبي تَكْفي لِتَجْعَلَني مَجْنونًا . لَقَدْ حَلَّتْ بي مَتاعِبُ مُفاجِئَةٌ وَمُؤْلِمةٌ . إِنَّني مُسْتَعِدٌّ لِتَحَمُّلِ ٱلفَضيحَةِ وَٱلعارِ ، لٰكِنْ لَيْسَ هٰذا هُوَ كُلَّ ما في ٱلأَمْرِ .. المَوْضوعُ أَكْبَرُ مِنْ هٰذا وَأَخْطَرُ .. إِنَّ ٱلأَمْرَ لا يَتَعَلَّقُ بي وَحْدي ، وَإِنَّما يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِيَّةٍ نَبيلةٍ في هٰذا ٱلبَلَدِ . إِنَّها سَتُعاني مَعي مِنْ هٰذا ٱلمَوْضوعِ ٱلخَطيرِ إذا لَمْ أَجِدْ لَهُ حَلًّا . »

قالَ هُولمْز : « هَدِّئْ مِنْ نَفْسِكَ يا سَيِّدي ، وَٱشْرَحْ لِيَ ٱلمَوْضوعَ بِوُضوحٍ . »

عِنْدَئِذٍ أَخْبَرَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر شِرْلُوك هُولمْز بِقِصَّتِهِ ٱلمُحْزِنَةِ مَعَ ٱلتَّاجِ .

بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ قِصَّتِهِ ، قالَ : « لَقَدْ أَخَذوا ٱبْني إلى قِسْمِ ٱلشُّرْطَةِ هٰذا ٱلصَّباحَ ، وَأَسْرَعْتُ أَنا إِلَيْكَ أَطْلُبُ مُساعَدَتَكَ لإِزالَةِ هٰذا ٱلغُموضِ . لَسْتُ أَدْري ماذا أَفْعَلُ ! لَقَدْ فَقَدْتُ سُمْعَتي وَجَواهِري وَٱبْني في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ . لَسْتُ أَدْري ماذا أَفْعَلُ ! »

— ٦ —

جَلَسَ شِرْلُوك هُولمْز ساكِنًا بِضْعَ دَقائِقَ ، ثُمَّ سَأَلَ ٱلرَّجُلَ :

« هَلْ يَأْتي إلى مَنْزِلِكَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلأَصْدِقاءِ ؟ »

« بَلْ عَدَدٌ قَليلٌ جِدًّا . هُناكَ صَديقٌ لِابْني آرْثَر ... آسمُهُ سير جُورج بِرنْوِيل ، وَقَدْ زارَنا عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَلا أَحَدَ سِواهُ عَلى ما أَظُنُّ . »

« حَسَنًا ! هَلْ تَخْرُجونَ مِنَ ٱلمَنْزِلِ كَثيرًا ؟ »

« آرْثَر يَخْرُجُ ، أَمَّا أَنا وَماري فَنُلازِمُ ٱلمَنْزِلَ . »

« لَيْسَ هٰذا طَبيعيًّا بِالنِّسْبَةِ لِفَتاةٍ شابَّةٍ . »

« إِنَّها فَتاةٌ هادِئَةٌ ، في ٱلرَّابِعَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنْ عُمْرِها . »

« هَلْ آلمَها أَيْضًا هٰذا ٱلأَمْرُ ؟ »

« بِشِدَّةٍ ... أَظُنُّ أَنَّ حالَتَها أَسْوَأُ مِنْ حالَتي . »

« إِذًا ! فَكُلٌّ مِنْكُما يَعْتَقِدُ أَنَّ آبنَكَ هُوَ ٱلسَّارِقُ ؟ »

« لَقَدْ رَأَيْتُهُ بِنَفْسي وَٱلتَّاجُ بَيْنَ يَدَيْهِ . »

« لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا دَليلٌ عَلى أَنَّهُ هُوَ ٱلسَّارِقُ . لَقَدْ ذَكَرْتَ أَنَّ ٱلتَّاجَ كانَ مُلْتَوِيًا . »

« نَعَمْ . »

« رُبَّما كانَ يُحاوِلُ إصْلاحَهُ ؟ »

« بارَكَ ٱللهُ فيكَ ! أَنْتَ تُحاوِلُ أَنْ تُساعِدَهُ وَتُساعِدَني ، لٰكِنْ ماذا كانَ يَفْعَلُ هُناكَ ؟ وَإذا لَمْ يَكُنْ مُذْنِبًا ، فَلِماذا لَمْ يَقُلْ ذٰلِكَ ؟ »

« هٰذا صَحيحٌ . وَإذا كانَ مُذْنِبًا ، فَلِماذا لَمْ يَخْتَلِقْ أُكْذوبَةً لِيَنْفِيَ ٱلتُّهْمةَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ لِماذا ٱلتَزَمَ ٱلصَّمْتَ ؟ هُناكَ كَثيرٌ مِنَ ٱلنِّقاطِ ٱلمُحَيِّرةِ في هٰذِهِ ٱلقَضيَّةِ . لٰكِنْ ما رَأْيُ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ في ٱلضَّوْضاءِ ٱلَّتي أَيْقَظَتْكَ ؟ »

« يَظُنُّونَ أَنَّها ٱلصَّوْتُ ٱلَّذي صَدَرَ حينَ كانَ آرْثَر يُغْلِقُ حُجْرةَ نَوْمِهِ . »

« هٰذا ٱحتِمالٌ بَعيدٌ . لِأَنَّهُ لَوْ كانَ آرْثَر يَنْوي ٱلسَّرِقَةَ ، لَحَرَصَ عَلى أَلَّا يُحْدِثَ أَيَّ صَوْتٍ . ماذا فَعَلَ رِجالُ ٱلشُّرْطةِ لِلْبَحْثِ عَنِ ٱلماساتِ ٱلمَفْقودَةِ ؟ »

« بَحَثوا في كُلِّ مَكانٍ .. تَحْتَ أَرْضيَّةِ ٱلغُرَفِ .. في ٱلأَثاثِ ، في كُلِّ مَكانٍ بِٱلمَنْزِلِ . »

« هَلْ فَكَّروا في ٱلبَحْثِ عَنْها خارِجَ ٱلمَنْزِلِ ؟ »

« نَعَمْ ، في كُلِّ مَكانٍ . لَقَدْ فَتَّشوا ٱلحَديقَةَ كُلَّها . »

قالَ هُولمْز : « وَٱلآنَ ، يا سَيِّدي ٱلعَزيزَ ، أَلا تَرى أَنَّ هٰذا ٱلمَوْضوعَ لَيْسَ بِالبَساطَةِ ٱلَّتي تَتَصَوَّرُها أَنْتَ وَرِجالُ ٱلشُّرْطَةِ ؟ أَنْتَ تَفْتَرِضُ أَنَّ ٱبنَكَ قَدْ غادَرَ فِراشَهُ ، وَذَهَبَ إلى غُرْفَتِكَ ٱلخاصةِ ، وَعَثَرَ عَلى ٱلتَّاجِ ، وَكَسَرَ قِطْعةً مِنْهُ ،

وَأَخَذَ ٱلماساتِ ٱلثَّلاثَ وَذَهَبَ وَأَخْفاها بِذَكاءٍ شَديدٍ في مَكانٍ لَمْ يَتَمَكَّنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلعُثورِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ عادَ إلى ٱلغُرْفَةِ مَرَّةً أُخْرى مُعَرِّضًا نَفْسَهُ لِخَطَرٍ عَظيمٍ ، هُوَ ٱكتِشافُ أَمْرِهِ . إنَّني أَسْأَلُكَ : هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلفِكْرَةَ مَعْقولَةٌ عَلى أَيِّ وَجْهٍ ؟ »

صاحَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر : « ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ ٱلأَمْرُ إذًا ؟ إذا لَمْ يَكُنِ ٱبْني مُذْنِبًا ، فَلِمَ لَمْ يَشْرَحِ ٱلأَمْرَ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « عَلَيْنا نَحْنُ أَنْ نَجِدَ إجابَةً عَنْ هٰذا ٱلسُّؤالِ . وَٱلآنَ ، إذا سَمَحْتَ يا سَيِّدُ هُولْدَر أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ إلى مَنْزِلِكَ في سْتْريتام ، وَأَرى كُلَّ شَيْءٍ بِنَفْسي . »

طَلَبَ هُولمْز مِنّي أَنْ أُرافِقَهُ ، فَرَحَّبْتُ بِذٰلِكَ ، لِأَنَّني كُنْتُ أَرْغَبُ بِشِدَّةٍ في أَنْ أَعْرِفَ ماذا سَيَفْعَلُ ، خُصوصًا أَنَّني كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ آرْثَر هُوَ ٱلجاني . لٰكِنَّني كُنْتُ عَلى ثِقَةٍ كَبيرَةٍ في تَقْديرِ هُولمْز لِلأُمورِ ، وَأَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ هُناكَ تَفْسيرٌ آخَرُ لِٱخْتِفاءِ ٱلماساتِ .

كانَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر سَعيدًا بِٱلأَمَلِ ٱلضَّعيفِ ٱلَّذي أَعْطاهُ إيّاهُ شِرْلُوك هُولمْز .

– ٧ –

كانَ ٱلمَنْزِلُ ٱلقائِمُ في شارِعِ سْتْريتام مَنْزِلًا فَسيحًا ، أُقيمَ بَعيدًا عَنِ ٱلطَّريقِ

إلى حَدٍّ ما . وَ كانَ هُناكَ مَمَرٌّ واسِعٌ يَمْتَدُّ مِنَ ٱلبَوّابَةِ إلى ٱلمَنْزِلِ ، وَ كانَ يَتَفَرَّعُ مِنَ ٱلجانِبِ ٱلأيْمَنِ مَمَرٌّ ضَيِّقٌ يمْتَدُّ بَيْنَ صَفَّيْنِ مِنَ ٱلأشْجارِ ٱلصَّغيرةِ ، يُؤَدّي إلى بابِ ٱلمَطْبَخِ . وَ كانَ ٱلثَّلْجُ يُغَطّي ٱلحَديقَةَ .

دارَ هُولمْز بِبُطْءٍ حَوْلَ ٱلمَنْزِلِ مِنْ كُلِّ جَوانِبِهِ ، وَ تأمَّلَ ٱلواجِهةَ ، ثُمَّ سارَ في ٱلمَمَرِّ ٱلضَّيِّقِ ٱلمُؤَدّي إلى ٱلمَطْبَخِ ، ثُمَّ ٱخترَقَ ٱلحَديقَةَ إلى مَمَرٍّ صَغيرٍ خَلْفَ ٱلمَنْزِلِ .

أَخَذَني ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر إلى ٱلدّاخِلِ ، حَيْثُ جَلَسْنا نَنْتَظِرُ هُولمْز ؛ وَ إذا بِٱلبابِ يُفْتَحُ ، وَ تَدْخُلُ عَلَيْنا سَيِّدةٌ شابَّةٌ ، لَمْ يَسْبِقْ لي أَنْ رَأَيْتُ وَجْهًا شاحِبًا مِثْلَ وَجْهِها . لَمْ يَكُنْ لِشَفَتَيْها لَوْنٌ ، وَ كانَتْ عَيْناها حَمْراوَيْنِ مِنَ ٱلبُكاءِ . وَ لَمْ تَنْتَبِهْ إلى وُجودي ، بَلِ ٱتَّجَهَتْ مُباشَرَةً إلى عَمِّها قائلةً : « أَلَمْ تُصْدِرْ أَمْرَكَ بَعْدُ بِأَنْ يُطْلِقوا سَراحَ آرْثَر ؟ »

« لا ، لا يا ماري ؛ لا بُدَّ أَنْ يَقْتَنِعَ رِجالُ ٱلشُّرْطةِ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُذْنِبٍ . »

« لٰكِنَّني واثِقةٌ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا ، وَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ أَيَّ خَطإٍ ؛ وَ أَنا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتَأْسَفُ لِأَنَّكَ تَصَرَّفْتَ بِدونِ تَفْكيرٍ . »

« لِماذا إذًا ٱلتَزَمَ ٱلصَّمْتَ إذا لَمْ يَكُنْ قَدْ سَرَقَ ٱلماساتِ ؟ »

« مَنْ يَدْري ؟ لَعَلَّهُ غَضِبَ بِشِدَّةٍ لِأَنَّكَ لَمْ تَعُدْ تَثِقُ بِهِ ، فَامتَنَعَ عَنِ ٱلكَلامِ . »

« لٰكِنَّني رَأَيْتُهُ وَ ٱلتّاجُ بَيْنَ يَدَيْهِ ! »

« مِنَ ٱلْمُخيف حَقًّا أَنْ أُفَكِّرَ في وُجودِ عَزيزِنا آرْثَر في ٱلسِّجْنِ . »

« لَنْ أَسْتَسْلِمَ يا ماري إلى أَنْ نَعْثُرَ عَلى ٱلماساتِ . لَقَدْ أَحْضَرْتُ أَحَدَ ٱلسَّادَةِ مِنْ لَنْدَن ، لِيَبْحَثَ هٰـذا ٱلمَوْضوعَ بِعِنايَةٍ أَكْثَرَ . »

قالَتْ وَهيَ تَنْظُرُ نَحْوي : « أَهوَ هٰـذا ٱلسَّيِّدُ ؟ »

« لا ، صَديقُهُ . لَقَدْ طَلَبَ مِنَّا أَنْ نَتْرُكَهُ وَحْدَهُ . إِنَّهُ ٱلآنَ في ٱلمَمَرِّ ٱلمُؤَدِّي إلى حَظيرةِ ٱلخَيْلِ . »

« مَمَرُّ حَظيرةِ ٱلخَيْلِ !! ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَجِدَ هُناكَ ؟ »

— ٨ —

دَخَلَ هُولمْز ٱلغُرْفَةَ ، ثُمَّ قالَ : « أَعْتَقِدُ أَنَّكِ ٱلآنِسَةُ ماري هُولْدَر . أَ تَسْمَحِينَ لي أَنْ أُوَجِّهَ إِلَيْكِ سُؤالًا أَوْ سؤالَيْن ؟ »

« تَفَضَّلْ يا سَيِّدي ! سَلْ ما تَشاءُ لَعَلَّ هٰـذا يُساعِدُ عَلى تَوْضيحِ ما حَدَثَ . »

« أَلَمْ تَسْمَعي شَيْئًا في ٱللَّيْلةِ ٱلماضِيَةِ ؟ »

« لَمْ أَسْمَعْ أَيَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَ صِياحَ عَمِّي . »

« هَلْ كُنْتِ قَدْ أَغْلَقْتِ كُلَّ ٱلنَّوافِذِ ؟ »

« نَعَـــــمْ . »

« هَلْ كانَتْ مُغْلَقَةً هٰـذا ٱلصَّباحَ ؟ »

« نَعَـــمْ . »

« عِنْدَكِ خادِمَةٌ لَها صَديقٌ ؛ أَظُنُّ أَنَّكِ أَخْبَرْتِ عَمَّكِ أَنَّها غادَرَتِ ٱلمَنْزِلَ لَيْلَةَ أَمْسِ ؟ »

« نَعَمْ . وَ هِيَ ٱلفَتاةُ ٱلَّتي أَحْضَرَتْ لَنا ٱلقَهْوَةَ لَيْلَةَ أَمْسِ . لَعَلَّها سَمِعَتْ عَمِّي يَتَحَدَّثُ عَنِ ٱلتّاجِ . »

« فَهِمْتُ . أَنْتِ تَظُنِّينَ أَنَّها خَرَجَتْ لِمُقابَلَةِ صَديقِها ، حَيْثُ دَبَّرَ الاثْنانِ سَرِقَةَ ٱلتّاجِ . هَلْ رَأَيْتِها تَعودُ مِنْ بابِ ٱلمَطْبَخِ ؟ »

« نَعَمْ ، لَقَدْ دَخَلَتْ عِنْدَما ذَهَبْتُ لِأُغْلِقَ ٱلبابَ بِٱلمِفْتاحِ . كَـذٰلِكَ رَأَيْتُ صَديقَها يَقِفُ قَريبًا جِدًّا مِنَ ٱلبَيْتِ . »

« هَلْ تَعْرِفينَهُ ؟ »

« نَعَمْ أَعْرِفُهُ . إِنَّهُ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي يَشْتَري لَنا ما نَحْتاجُهُ مِنْ لَحْمٍ . اِسْمُهُ فْرانْسِيس بْروسْبِر . »

قالَ هُولْمْز : « هَلْ كانَ يَقِفُ إِلى يَسارِ ٱلبابِ ؟ »

« هٰـذا صَحيحٌ . »

« وَ لِهٰـذا ٱلرَّجُلِ ساقٌ خَشَبِيَّةٌ ؟ »

هُنا ظَهَرَ ٱلخَوْفُ في عَيْنَيْ ماري ، وَ قالَتْ : « كَأَنَّكَ ساحِرٌ ! كَيْفَ عَرَفْتَ

كُلّ هٰذا ؟ » وَ ٱبتَسَمْتُ ، لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ أَيُّ ٱبتِسامٍ عَلى وَجْهِ هُولمْز ٱلنَّحيلِ ٱلذَّكِيِّ .

« أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ أُلقِيَ نَظْرةً عَلى نَوافِذِ ٱلدَّوْرِ ٱلأَرْضِيِّ ، وَ أَنْ أَصْعَدَ إلى ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ لِتَفْتيشِهِ . »

أَخَذَ هُولمْز يَتَنَقَّلُ بِسُرْعةٍ مِنْ نافِذةٍ إلى نافِذةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عِنْدَ ٱلنَّافِذةِ ٱلواسِعةِ ٱلَّتي تُطِلُّ مِنَ ٱلبَهْوِ عَلى مَمَرِّ حَظيرةِ ٱلخَيْلِ ، وَ فَتَحَها ، وَ فَحَصَ كُلَّ جُزْءٍ مِنْها فَحْصًا دَقيقًا جِدًّا .

قالَ أَخيرًا : « هَيَّا نَصْعَدِ ٱلآنَ إلى ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ . »

في غُرْفةِ مُديرِ ٱلبَنْكِ ٱلخاصَّةِ ، ٱتَّجَهَ هُولمْز في ٱلبِدايَةِ إلى ٱلحَقيبَةِ ٱلَّتي كانَ بِها ٱلتَّاجُ ، وَ فَحَصَ ٱلقُفْلَ فَحْصًا دَقيقًا .

ثُمَّ فَتَحَ ٱلحَقيبةَ ، وَ أَخْرَجَ ٱلتَّاجَ . كانَ طَرَفُهُ مُلْتَوِيًا وَ مَكْسورًا عِنْدَ ٱلمَكانِ ٱلَّذي تَمَّ ٱنتِزاعُ جُزْءٍ مِنْهُ .

قالَ هُولمْز : « الآنَ يا سَيِّدُ هُولْدَر ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُحاوِلَ كَسْرَ ٱلطَّرَفِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلتَّاجِ ؟ »

ظَهَرَتِ ٱلدَّهْشةُ عَلى مُديرِ ٱلبَنْكِ ، وَقالَ : « بِالتَّأْكيدِ لَنْ أُحاوِلَ . »

« إذًا سَأُحاوِلُ أَنا . » وَفَجْأَةً حاوَلَ هُولمْز بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَنْ يَكْسِرَ طَرَفَ ٱلتَّاجِ . لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ .

قالَ : « لَقَدْ شَعَرْتُ بِهِ يَتَحَرَّكُ قَليلًا ، لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ كَسْرَهُ ، رَغْمَ أَنَّ أَصابِعي قَوِيَّةٌ جِدًّا . وَلا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا يَسْتَطيعُ كَسْرَهُ . وَإِذا كُنْتُ قَدْ كَسَرْتُهُ ، لَنَتَجَ عَنْ ذٰلِكَ صَوْتٌ كَصَوْتِ طَلْقَةِ ٱلْمُسَدَّسِ . هَلْ سَمِعْتَ مِثْلَ هٰذا ٱلصَّوْتِ ؟ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ في مَكانٍ بَعيدٍ . »

قالَ هُولْدَر : « لَسْتُ أَدْري كَيْفَ أُفَسِّرُ ٱلأَمْرَ . »

« ما رَأْيُكِ في هٰذا ٱلأَمْرِ يا آنِسةُ هولْدَر ؟ »

« إِنَّني في حَيْرَةٍ مِثْل عَمِّي تَمامًا . »

قالَ هُولمْز لِهُولْدَر : « أَ لَمْ يَكُنِ آبنُكَ يَلْبَسُ حِذاءً عِنْدَما رَأَيْتَهُ ؟ »

« لَمْ يَكُنْ يَلْبَسُ سِوى قَميصِهِ وَ سِرْوالِهِ . »

« أَشْكُرُكَ ؛ أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلأَمْرَ يُمْكِنُ حَلُّهُ بِسُهولَةٍ جِدًّا إِذا كُنْتَ تَنْوي مُساعَدَتي يا سَيِّدُ هُولْدَر . سَأَذْهَبُ ٱلآنَ إِلى خارِجِ ٱلدّارِ مَرَّةً أُخرى . »

— ٩ —

خَرَجَ هُولمْز بِمُفْرَدِهِ ، وَقالَ إِنَّ أَيَّ مَزيدٍ مِنْ آثارِ ٱلأَقْدامِ قَدْ يَجْعَلُ عَمَلَهُ أَكْثَرَ صُعوبَةً . وَعِنْدَما رَجَعَ بَعْدَ حَوالَى ساعَةٍ ، كانَتِ ٱلثُّلوجُ تُغَطّي قَدَمَيْهِ ، لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ ٱلكَثيرُ لِيَقولَهُ لَنا .

« أَعْتَقِدُ أَنَّني فَعَلْتُ كُلَّ ما يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَهُ هُنا . سَأَعودُ ٱلآنَ إِلى مَنْزِلي . »

« لٰـكِنْ أَيْنَ ٱلماساتُ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

« لَسْتُ أَدْري . »

ظَهَرَ ٱلبُؤْسُ عَلى وَجْهِ مُديرِ ٱلبَنْكِ وَصاحَ : « لَنْ أَراها مَرَّةً ثانِيَةً ! وَٱبْني ؟ ! هَلْ هُناكَ أَمَلٌ ؟ »

« لَمْ يَتَغَيَّرْ رَأْيِي . »

« ما ٱلعَمَـــــلُ ؟ »

« يَجِبُ أَنْ تُوافِقَ عَلى أَنْ أُنْفِقَ – لِأَجْلِكَ – مَبْلَغًا كَبيرًا مِنَ ٱلمالِ . فَإِذا وافَقْتَ ، وَحَضَرْتَ إِلَيَّ غَدًا في مَنْزِلي ، سَيَسُرُّني أَنْ أُخْبِرَكَ بِما تَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ . »

إِستَطَعْتُ أَنْ أُدْرِكَ أَنَّ هُولمْز قَدِ ٱتَّخَذَ قَرارَهُ في ٱلقَضِيَّةِ ، لٰـكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَصَوَّرَ ماذا يَدورُ في خاطِرِهِ . وَلَمْ يُحَدِّثْني في ٱلطَّريقِ إِلى ٱلبَيْتِ .

ما إِنْ وَصَلْنا شارِعَ بيكَر ، حَتَّى أَسْرَعَ إِلى غُرْفَتِهِ ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ عِدَّةِ دَقائِقَ في زِيِّ شَحّاذٍ ، كانَ تَنَكُّرُهُ كامِلًا ، وَهُوَ يَرْتَدي مِعْطَفًا قَديمًا رَفَعَ ياقَتَهُ إِلى أَعْلى ، وَوَضَعَ قَدَمَيْهِ في حِذاءٍ عَتيقٍ ، ثُمَّ قالَ لي : « أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰـذا ٱلتَّنَكُّرَ سَيُساعِدُني كَثيرًا . كُنْتُ أُحِبُّ يا واطْسُن أَنْ تَأْتِيَ مَعي ، لٰـكِنَّني أَرى أَنَّهُ مِنَ ٱلحِكْمَةِ أَلّا تَصْحَبَني . آمُلُ أَنْ أَعودَ بَعْدَ ساعاتٍ قَليلَةٍ . »

« بَيْنَما كُنْتُ جالِسًا أَتَناوَلُ ٱلشّايَ ، عادَ هُولمْز . كانَ يَبْدو راضِيًا تَمامًا ،

وَقَدْ أَمْسَكَ بِحِذاءٍ قَديمٍ في يَدِهِ . ثُمَّ أَلْقى بِالحِذاءِ في أَحَدِ ٱلأَرْكانِ ، وَتَناوَلَ قَدَحًا مِنَ ٱلشّاي ، وَقالَ : « لَمْ أَنْتَهِ بَعْدُ ، وَسَأَخْرُجُ ثانِيَةً خِلالَ دَقائِقَ . »

« إلى أَيْنَ ؟ »

« إلى ٱلجانِبِ الآخَرِ مِنْ لَنْدَن . قَدْ أَتأَخَّرُ فَلا تَنْتَظِرْني . » سَأَلْتُهُ مُتَوَقِّعًا أَنْ يُخْبِرَني بِشَيْءٍ : « هَلْ حالَفَكَ ٱلحَظُّ ؟ »

« نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ ذٰلِكَ . لَقَدْ عُدْتُ إلى شارِعِ ستْرِيتام ، لٰكِنَّني لَمْ أَذْهَبْ إلى مَنْزِلِ هُولْدَر ثانيةً . إنَّها قَضِيَّةٌ مُثيرةٌ جِدًّا ياواطْسُن . يَجِبُ أَنْ أَعودَ ٱلآنَ لِارْتِداءِ مَلابِسي ٱلعادِيَّةِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ . »

— ١٠ —

لَمْ أَعْرِفْ مَتى عادَ هُولمْز مِنَ ٱلخارِجِ ، لِأَنَّني ذَهَبْتُ إلى فِراشي قَبْلَ عَوْدَتِهِ وَفي ٱلصَّباحِ ، عِنْدَما دَخَلْتُ غُرْفَةَ ٱلطَّعامِ لِأَتَناوَلَ إفْطاري ، وَجَدْتُهُ جالِسًا يُمْسِكُ بِإحْدى يَدَيْهِ قَدَحًا مِنَ ٱلقَهْوةِ ، وَباليَدِ ٱلأُخْرى صَحيفَةً . وَكانَ يَبْدو عَلَيْهِ ٱلنَّشاطُ .

دُقَّ جَرَسُ ٱلبابِ . وَعِنْدَما فَتَحْتُ لِأَرى مَنِ ٱلطّارِقُ ، إذا بِمُديرِ ٱلبَنْكِ يَدْخُلُ إلى ٱلغُرْفةِ . كانَ يَبْدو عَلَيْهِ ٱلتَّعَبُ وَٱلمَرَضُ ٱلشَّديدُ . قالَ : « لَسْتُ أَدْري ماذا فَعَلْتُ في حَياتي ، حَتّى أَسْتَحِقَّ سُوءَ ٱلحَظِّ هٰذا . قَبْلَ يَوْمَينِ فَقَطْ كُنْتُ رَجُلًا سَعيدًا ، لايُقْلِقُني شَيْءٌ في ٱلدُّنْيا ، لٰكِنَّني ٱلآنَ لَمْ أَعُدْ كَذٰلِكَ ؛ لَقَدْ هَجَرَتْ ماري ٱلمَنْزِلَ ! »

« هَجَرَتِ ٱلمَنْزِلَ !؟ »

« نَعَمْ ، لَمْ تَنَمْ في ٱلمَنْزِلِ ٱللَّيْلَةَ ، وَقَدْ تَرَكَتْ لي رِسالَةً عَلى مائدةِ ٱلبَهْوِ . »
وَأَعْطى هُولمْز ٱلرِّسالَةَ ، فَقَرأَ :

عَمِّيَ ٱلعَزيزَ :

أَشْعُرُ أَنَّ كُلَّ مَتاعِبِكَ سَبَبُها أَخطائي . وَلَعَلَّني لَوْ كُنْتُ قَدْ تَصَرَّفْتُ بِشَكْلٍ مُخْتَلِفٍ ، لَما قابَلَتْكَ أَيُّ مَتاعِبَ . لَمْ أَعُدْ أَسْتَطيعُ ٱلبَقاءَ في مَنْزِلِكَ ، وَهٰذا ٱلخاطِرُ يُلِحُّ عَلى ذِهْني مُنْذُ فَتْرَةٍ ، لِذٰلِكَ قَرَّرْتُ أَنْ أَتْرُكَكَ إِلى ٱلأَبَدِ . لا تَقْلَقْ ؛ فَقَدْ تَمَّ تَأْمينُ مُسْتَقْبَلي . أَرْجو أَلَّا تَبْحَثَ عَنِّي ، وَسأَظَلُّ في حَياتي وَمَماتي

المُحِبَّةُ لَكَ دائمًا

مـــــاري

سَأَلَ هُولْدَر : « ماذا تَقْصِدُ ماري يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

« لا أَعْرِفُ ، لٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَهابَها فيه خَيْرٌ كَثيرٌ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ مَتاعِبَكَ سَتَنْتَهي قَريبًا جِدًّا . »

« هَلْ هٰذا رَأْيُكَ ؟ هَلْ وَصَلْتَ إِلى شَيْءٍ ؟ »

سَأَلَهُ هُولمْز بِهُدوءٍ : « هَلْ أَنْتَ عَلى ٱستِعدادٍ لِدَفْعِ أَلْفِ جُنَيْهٍ عَنْ كُلِّ ماسةٍ مِنْ ماساتِكَ ٱلثَّلاثِ ٱلَّتي فُقِدَتْ مِنَ ٱلتَّاجِ ؟ »

« لَقَدْ أَحْضَرْتُ عَشَرَةَ آلافِ جُنَيْهٍ . »

« لا ! تَكْفي ثَلاثَةُ آلافٍ فَقَطْ . هَيَّا أَعْطِني إِيَّاها . »

- ١١ -

عِنْدَما سَلَّمَ مُديرُ آلبَنْكِ آلنُّقودَ إلى هُولمْز ، أَخْرَجَ آلمُخْبِرُ آلعَظيمُ مِنْ جَيْبِهِ قِطْعَةً صَغيرةً مِنَ آلذَّهَبِ ، مُثَبَّتَةٌ بِها ثَلاثُ ماساتٍ ، وَوَضَعَها فَوْقَ آلمائِدَةِ .

صاحَ هُولْدَر في فَرَحٍ ، وَهُوَ يُمْسِكُ آلذَّهَبَ وَآلماساتِ : « لَقَدْ وَجَدْتَها ! لَقَدْ نَجَوْتُ ! لَقَدْ نَجَوْتُ ! »

قالَ هُولمْز بِشَيْءٍ مِنَ آلصَّرامَةِ : « لا تَزالُ مَدينًا بِشَيْءٍ آخَرَ يا سَيِّدُ هُولْدَر . »

قالَ هُولْدَر ، وَهُوَ يَتَحَسَّسُ نُقودَهُ مَرَّةً ثانِيَةً : « مَدينٌ ! أَخْبِرْني .. ما مِقْدارُ دَيْني حَتَّى أُسَدِّدَهُ ؟ »

« لا ، لَيْسَتْ نُقودًا ؛ آلأَمْرُ لا يَتَعَلَّقُ بي ، بَلْ يَتَعَلَّقُ بِابنِكَ آلشَّهْمِ . لا بُدَّ أَنْ يَشْعُرَ بِمَدى أَسَفِكَ لِأَنَّكَ شَكَكْتَ فيهِ . لَقَدِ آلتَزَمَ آلصَّمْتَ لِيُنْقِذَ آلفَتاةَ آلَّتي أَحَبَّها . »

« إِذًا لَمْ يَكُنْ آرْثَر هُوَ آلَّذي أَخَذَها ؟! أَواثِقٌ أَنْتَ مِنْ ذٰلِكَ ؟ يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ إِلَيْهِ في آلحالِ وَنُخْبِرَهُ بِالحَقيقَةِ . »

« إِنَّهُ يَعْرِفُها . لَقَدْ ذَهَبْتُ لِرُؤْيَتِهِ ، وَرَفَضَ أَنْ يُخْبِرَني بِما حَدَثَ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنا . »

« اِشْرَحْ لي بِحَقِّ آلسَّماءِ يا سَيِّدي : ما سِرُّ هٰذِهِ آلمَسْأَلَةِ ؟ »

« مِنَ ٱلبِدايَةِ ، يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ سَيُؤْلِمُكَ كَثيرًا . لَقَدْ هَرَبَتْ ماري مَعَ سِير جُورج بِرنْوِيل . »

« ماري ؟! مُسْتَحيلٌ ! »

« هٰـذا هُوَ ٱلواقِعُ . فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْتَ أَوِ آبنُكَ أَنْ تَكْتَشِفا مِقْدارَ سُوءِ سُلوكِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي سَمَحْتُما لَهُ أَنْ يَدْخُلَ ٱلمَنْزِلَ . إِنَّهُ رَجُلٌ لا قَلْبَ لَهُ وَلا خَيْرَ فيهِ . لَقَدْ صَدَّقَتْهُ ماري عِنْدَما قالَ لَها إِنَّهُ يُحِبُّها . تَمامًا كَما صَدَّقَتْهُ فَتَياتٌ كَثيراتٌ قَبْلَها . لَقَدِ آعتادَتْ أَنْ تُقابِلَهُ كُلَّ مَساءٍ . »

صاحَ مُديرُ ٱلبَنْكِ : « لا ، لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ هٰـذا ! » وَشَحَبَ وَجْهُهُ .

قالَ هُولمْز : « سَأُخْبِرُكَ كَيْفَ تَمَّ أَخْذُ ٱلماساتِ . عِنْدَما ذَهَبْتَ إِلى فِراشِكَ ، ذَهَبَتْ ماري إِلى ٱلبَهْوِ وَفَتَحَتِ ٱلنّافِذَةَ ٱلواسِعَةَ ٱلمَوْجودَةَ بِهِ ، وَتَحَدَّثَتْ مَعَ سِير جُورج بِرنْوِيل ٱلَّذي كانَ يَقِفُ في ٱلخارِجِ . لَقَدْ رَأَيْتُ آثارَ قَدَمَيْهِ عَلى ٱلثَّلْجِ ، وَظَهَرَ بِوُضوحٍ أَنَّهُ ظَلَّ واقِفًا وَقْتًا طَويلًا ، فَقَدْ دَلَّتِ ٱلآثارُ عَلى حُدوثِ ضَغْطٍ شَديدٍ عَلى ٱلثَّلْجِ . فَقَدْ سَمِعَ مِنْ ماري عَنِ ٱلتّاجِ ، فَأَمَرَها بِأَخْذِهِ وَإِحْضارِهِ إِلَيْهِ . أَنا واثِقٌ أَنَّها تُحِبُّكَ حُبًّا صادِقًا ، لٰـكِنَّهُ يُسَيْطِرُ عَلَيْها سَيْطَرَةً قَوِيَّةً . في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ، رَأَتْكَ وَأَنْتَ تَهْبِطُ ٱلدَّرَجَ ، فَأَسْرَعَتْ تُغْلِقُ ٱلنّافِذَةَ ، وَأَخْبَرَتْكَ بِوُجودِ ٱلخادِمَةِ بِالخارِجِ . وَكانَ ذٰلِكَ صَحيحًا . »

وَواصَلَ هُولمْز حَديثَهُ : « كانَ آبنُكَ آرْثَر قَدْ ذَهَبَ إِلى فِراشِهِ بَعْدَ مُقابَلَتِكَ ، لٰـكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ بِسَبَبِ ٱلشِّجارِ ٱلَّذي حَدَثَ بَيْنَكُما . وَفي مُنْتَصَفِ

آللَّيْلِ ، سَمِعَ شَخْصًا يَمُرُّ بِهُدوءٍ خارِجَ بابِ غُرْفَتِهِ . وَعِنْدَما آسْتَطْلَعَ آلأَمْرَ ، كانَتْ دَهْشَتُهُ كَبيرةً . فَقَدْ رَأى ماري تَدْخُلُ غُرْفَتَكَ آلخاصَّةَ . عِنْدَئِذٍ آرْتَدى قَميصًا وَسِرْوالًا ، وَآنْتَظَرَ في آلظَّلامِ يُراقِبُ ما قَدْ يَحْدُثُ .

« عِنْدَما خَرَجَتْ ماري مِنَ آلغُرْفَةِ تَحْمِلُ آلتَّاجَ آلثَّمينَ ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ عَيْنَيْهِ ، فَتَبِعَها بِهُدوءٍ . وَهَبَطَتْ ماري إلى آلبَهْوِ مَرَّةً أُخرى ، وَفَتَحَتِ آلنَّافِذَةَ ، وَسَلَّمَتِ آلتَّاجَ إلى شَخْصٍ يَقِفُ بِالخارِجِ ، ثُمَّ أَغْلَقَتِ آلنَّافِذَةَ ، وَعادَتْ بِسُرْعَةٍ إلى غُرْفَتِها . »

نَظَرَ شِرْلُوك هُولمْز إلى هُولْدَر مُتَسائلًا : « ماذا كانَ يَسْتَطيعُ آبْنُكَ أَنْ يَفْعَلَ ؟ لَقَدْ كانَ يُحِبُّ ماري ، وَفي نَفْسِ آلوَقْتِ كانَ يَجِبُ أَنْ يُوقِفَ آلجَريمَةَ فَاندَفَعَ إلى آلطَّابَقِ آلأَرْضِيِّ ، وَفَتَحَ آلنَّافِذَةَ ، وَقَفَزَ مِنْها فَوْقَ آلثَّلْجِ ، حَيْثُ آستَطاعَ أَنْ يَرى شَبَحَ إنسانٍ في ضَوْءِ آلقَمَرِ . كانَ هُوَ سِير جُورج بِرنْوِيل . وَأَمْسَكَ بِهِ وَتَصارَعَ مَعَهُ ، وَجَرَحَهُ فَوْقَ عَيْنِهِ . عِنْدَئِذٍ آنكَسَرَ آلتَّاجُ ، وَآستَطاعَ آرْثَر أَنْ يَسْتَرِدَّهُ وَيَعودَ بِهِ إلى آلمَنْزِلِ جَرْيًا . وَدَخَلَ مِنَ آلنَّافِذَةِ ، وَأَغْلَقَها ، وَذَهَبَ إلى غُرْفَتِكَ آلخاصَّةِ . لَقَدْ كانَ يُحاوِلُ إصْلاحَ آلتَّاجِ عِنْدَما دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَوَجَدْتَهُ هُناكَ . »

هَمَسَ مُديرُ آلبَنْكِ : « هَلْ هٰذا مُمْكِنٌ ؟ »

« لَقَدْ أَثَرْتَ غَضَبَهُ ، وَوَصَفْتَهُ بِأَنَّهُ لِصٌّ ، في آلوَقْتِ آلَّذي كانَ يَرى فيهِ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مِنْكَ آلشُّكْرَ ، وَقَرَّرَ أَلَّا يُخْبِرَكَ بِالحَقيقَةِ . »

صاحَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر : «إذًا فَهٰـذا هُوَ سَبَبُ إغماءِ ماري عِنْدَما رَأَتِ ٱلتَّاجَ ؟! يالي مِنْ غَبيٍّ أَعْمى ! وَعِنْدَما طَلَبَ آرْثَر مِنّي أَنْ يَخْرُجَ لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ ، كانَ يُريدُ ٱلبَحْثَ عَنِ ٱلجُزْءِ ٱلمَفْقودِ مِنَ ٱلتَّاجِ . كَمْ كُنْتُ قاسيًا عَلَيْهِ ! »

قالَ هُولمْز : «لَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَما ذَهَبْتُ إلى ٱلحَديقَةِ آثارَ ٱلأَقْدامِ عَلى ٱلثَّلْجِ . رَأَيْتُ أَقْدامَ آرْثَر بِغَيْرِ حِذاءٍ . وَرَأَيْتُ ٱلمَكانَ ٱلَّذي تَكَسَّرَ فيهِ ٱلثَّلْجُ بِسَبَبِ ٱلمَعْرَكَةِ ، وَرَأَيْتُ بِضْعَ قَطَراتٍ مِنَ ٱلدَّمِ ، وَهٰـكَذا عَرَفْتُ أَنَّني على صَوابٍ في آستِنْتاجاتي .. لَقَدْ ظَهَرَتْ أَيْضًا آثارُ أَقدامِ سِير جُورج بِرنْوِيل حَتَّى نِهايَةِ مَمَرِّ حَظيرةِ ٱلخَيْلِ . كَما أَنَّ قَطَراتِ ٱلدَّمِ أَوْضَحَتِ ٱلأَمْرَ . »

– ١٢ –

« لَقَدْ أَخْبَرْتَني أَنَّهُ لا يُوجَدُ أَصْدِقاءُ كَثيرونَ يَتَرَدَّدونَ عَلى مَنْزِلِكَ . وَأَذْكُرُ أَنَّكَ قُلْتَ إنَّ سِير جُورج هُوَ ٱلوَحيدُ ٱلَّذي يَزورُكُمْ . لَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُ رَجُلٌ فاسِدٌ . وَقَدْ ذَهَبْتُ إلى مَنْزِلِهِ ٱليَوْمَ كَشَحّـاذٍ ، وَطَلَبْتُ مِنْ خادِمِـهِ بَعْضَ ٱلمَلابِسِ ٱلقَديمَةِ . وَكَمْ كُنْتُ مَحْظوظًا ، فَقَدْ أَعْطاني حِذاءً لايَزالُ مُبْتَلًّا ، كانَ سَيِّدُهُ قَدِ آستَغْنى عَنْهُ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ . كَـذٰلِكَ أَخْبَرَني أَنَّ سِير جُورج مَجْروحٌ فَوْقَ عَيْنِهِ . وَعِنْدَما أَخَذْتُ ٱلحِذاءَ إلى سْتريتام ، وَجَدْتُهُ يُطابِقُ آثارَ ٱلأَقْدامِ خارِجَ نافِذَةِ ٱلبَهْوِ . »

« عِنْدَئِذٍ وَجَدْتُ أَنَّهُ أَصْبَحَتْ أَمامي مُهِمَّةٌ صَعْبَةٌ .. كانَ لا بُدَّ أَنْ أَسْتَعيدَ ٱلماساتِ مِنْهُ . »

« لَقَدْ خَلَعْتُ ٱلمَلابِسَ ٱلَّتي كُنْتُ أَتَخَفَّى فيها كَشَحّاذٍ ، وَذَهَبْتُ لِمُقابَلَةِ سِير جُورج . وَقَدْ حاوَلَ في بِدايَةِ ٱلأَمْرِ أَلّا يَعْتَرِفَ بِشَيْءٍ ، لٰكِنْ عِنْدَما وَجَدَ أَنَّني أَعْرِفُ ٱلحَقيقَةَ ، تَناوَلَ عَصًا غَليظَةً وَٱندَفَعَ نَحْوي ، وَقَبْلَ أَنْ يَضْرِبَني صَوَّبْتُ مُسَدَّسي إِلى رَأْسِهِ ، عِنْدَئِذٍ وَجَدَ مِنَ ٱلأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِغَيْرِ عُنْفٍ . وَقَدْ قُلْتُ لَهُ إِنَّني عَلى ٱسْتِعدادٍ لِأَنْ أُعْطِيَهُ ثَلاثَةَ آلافِ جُنَيْهٍ مُقابِلَ ٱلماساتِ . وَوَعَدْتُهُ أَلّا يَسْمَعَ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ ٱلأَمْرِ بَعْدَ ذٰلِكَ . »

« ثُمَّ ذَهَبْتُ إلى ٱبنِكَ آرْثَر أَزُفُّ إِلَيْهِ هٰـذِهِ ٱلأَنْباءَ ٱلطَّيِّبَةَ ، وَأَخيرًا عُدْتُ إلى فِراشي في ٱلسَّاعةِ ٱلثَّانِيَةِ صَباحًا . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كانَ يَوْمًا حافِلًا بالعَمَلِ ٱلشَّاقِّ . »

قالَ مُديرُ ٱلبَنْكِ ، وَهُوَ يَنْهَضُ مِنْ مَقْعَدِهِ : « كانَ يَوْمًا أَنْقَذَ إنجلِترا مِنْ عارٍ عَظيمٍ . سَيِّدي : لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَجِدَ ٱلكَلِماتِ ٱلَّتي أُعَبِّرُ بِها عَنْ شُكْري لَكَ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ أَعْمالِكَ ، لٰـكِنَّكَ في ٱلحَقيقَةِ أَعْظَمُ كَثيـرًا مِمَّـا سَمِعْتُ عَنْكَ . »

« يَجِبُ أَنْ أَعودَ ٱلآنَ فَوْرًا لِأَطْلُبَ ٱلصَّفْحَ مِنِ ٱبْنِيَ ٱلعَزيزِ . أَمَّا فيما يَتَعَلَّقُ بِماري ، فَإِنَّ قَلْبي يَنْفَطِرُ عَلَيْها ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ هِيَ ٱلآنَ ... حَتَّى أَنْتَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَني أَيْنَ هِيَ . »

قالَ هُولمْز : « إِنَّها سَتَكونُ حَيْثُما يُوجَدُ سِير جُورج بِرنْوِيل . وَسَيَكونُ هٰـذا عِقابَ هٰـذِهِ ٱلفَتاةِ ٱلمِسْكِينَةِ . »

مغامرات شرلوك هولمز

ـ العصابة المرقطة وقصتان أخريان

٢ ـ النظارة الذهبية وقصتان أخريان